(٩)

يسوع في التلمود

المقاطعُ المتعلقة بيسوع في الأدب الحاخامي، وأبرزها في التلمود البابلي، تكشف منظاراً متقلباً ملوناً من شذرات عديدة – غالباً ما تهمل بوصفها شذرات – عن حياة يسوع، تعاليمه، وليس أقل من موته. إنها تروى كقصّة مستقلّة ومتماسكة، لكنها مبعثرة في كامل مجموعة الأدب الضخمة التي تركها الحاخامات. والأسوأ من ذلك، هو أنّها نادراً للغاية ما تخاطب يسوع، هدف بحثنا، بشكل مباشر؛ وفي حالات عديدة فإنَّ الهدفَ الآني للخطاب الحاخامي، لا علاقة له بيسوع وحياته، فهو يُذكر بشكلٍ عابر فقط، كتفصيل (صغير) من موضوع مختلف وأكثر أهمية، أو أنه يُخفى أيضاً هو وطائفته بحرص خلف بعض الشفرات التي تحتاج لأن تُفك شيفرتها. مع ذلك، فإن قراءتنا اللصيقة للنصوص ذات الصلة تمدّنا بعدد من النتائج والتي يمكن تلخيصها ووضعها في السياق المناسب.

أولاً وقبل كل شيء، فالحقيقة التي يجب التأكيد عليها، هو أن نصوصنا، رغم تشظيها وتقديمها المبعثر، لا يمكن رفضها كخيالاً تافهاً وصريحاً، كخيالات[1] لحاخامات نائين، لَمْ يعرفوا ولم يرغبوا بأنْ يعرفوا أي شيء عن الطائفة المسيحية وبطلها. فحكم متسرّع كهذا يمكن الوصول إليه فقط – وقد تم الوصول إليه بالفعل غالباً جداً – إذا ما تم تطبيق معيار خاطئ، أي، إذا تم تفتيش القصص الحاخامية بحثاً عن حقيقتها التاريخية، لأن الحقيقة التاريخية تختفي تحت غبشٍ وسخافات معلومة ضائعة أو مُساء فهمها. ومراراً وتكراراً أُحاول أن أُبرهنُ على أن مقاربة كهذه، لا يمكن أن تُقَدّم الكثير (هذا إذا قدمت أي شيء البتة)، أي ببساطة، إنهُ السؤال الخطأ الموجه للنصوص الخطأ. ونصوصنا الحاخامية لا تُحفظ، ولم تكن لديها نية أن تحفظ، معلومة تاريخية عن يسوع والمسيحية، والتي يمكن مقارنتها مع العهد الجديد، والتي تلقي بضوء جديد (ومختلف) على رواية العهد الجديد. موقف ساذج كهذا – والذي يسيطر على معظم الأدب البحثي ذي الصلة، إنْ لَمْ يكن كلّه، ولو أنهُ بدرجات مختلفة ونتائج مختلفة – يجب صرف النظر عنه مرة وإلى الأبد. وهذا ينطبق على المحاولات الوضعية من أجل إعادة اكتشاف النصوص الحاخامية وتبريرها كمصادر تاريخية لحياة يسوع (والتي يبرز ترافرز هرفورد، كأهم مثال على ذلك) إضافة إلى المحاولات التي لا تقل عن السابقة وضعية لإثبات العكس ولأن تستنتج من هذا أن قصص الحاخامات لا قيمة لها، بَلْ إنّها لا تشير إلى يسوع بأية حال (يبرز هنا يوهان ماير، كأكثر أنصار هذه الفكرة تطرّفاً) – لا يمكن لأيٍ من هاتين المقاربتين أن تمضيا بعيداً، وهما تمرينان عبثيان في تَبَحُّرٍ بحثي عقيم.

علاوة على ذلك، فالمقاربتان على حدٍ سواء، تظلمانِ الشخصية الأدبية للعهد الجديد والمصادر الحاخامية في آن وتبخسان قيمة فطنة مؤلفيها. ومنذ زمن طويل، تَمّ

---

[1] بل إن باحثاً مثل مورتون سميث لا يستطيع إخفاء غضبه من "الخيال المحض" و "التفاهة" حين يناقش قصصنا الحاخامية؛ أنظر مثلاً عمله، *Jesus the Magician*, p. 49 .

القبولُ في معظم مراكز بحث العهد الجديد (باستثناء الأفرع الأصولية والإنجيلية) بأنَّ العهد الجديد، هو أي شيء غير أنه رواية تخبر عن حقائق تاريخية " صافية "، عما حدث " فعلياً " – مع أن هذا، بالطبع، لا يعني أن ما يقدّمه ليس سوى خيال. لكنه، بالمقابل، إعادة رواية " لما حدث " وإن بطريقته الخاصة، وبدقّة أكثر، بطرق مختلفة تماماً من قبل مؤلفيه المختلفين. وقد قبل أيضاً معظم الباحثين في اليهودية الحاخامية، أنَّ الشيء ذاته ينطبق على الأدب الحاخامي، أي أن الحاخامات لم يولوا اهتماماً خاصّاً " بما حدث " – لمثل هذه المقاربة التاريخية والوضعية احتَفَظوا بالحكم المهين *ماي دي-هافا هافا* (" ما حدث حدث) – بَلْ يخبرون قصة من لدنهم: أيضاً، ليستْ فَقَطْ مجرّد رواية خيالية بل تفسيرهم " لما حدث " بطريقتهم الخاصة والمميزة للغاية.[1]

هذا بدقّة، ما يَحْصلُ في قُصَصِنا الحاخامية المتعلقة بيسوع والطائفة المسيحية. وهذه القصص التي تُصاغ عباراتها على نحو مدروس وحريص تعيد إخبارنا – ليس بما " حدث فعلياً " بَلْ بما كانَ سيأسر انتباه الحاخامات. والمصدر الذي يشيرون إليه ليس إحدى المعارف المستقلة المتعلقة بيسوع، حياته، وأتباعِهِ التي وصلت إليهم من خلال بعض الأقنية الخفيّة؛ بَلْ، كما باستطاعتي أن أُظهرَ بالتفصيل، إنَّ مصدرهم هو

(1) حول المفهوم الحاخامي للتاريخ، أنظر: Arnold Goldberg, "Schöpfung und Geschichte. Der Midrasch von den Dingen, die vor der Welt erschaffen wurden," *Judaica* 24, 1968, pp. 27–44 (reprinted in idem, *Mystik und Theologie des rabbinischen Judentums. Gesammelte Studien I*, ed. Margarete Schlüter and Pe- 174 Notes to Chapter 9 ter Schäfer, Tübingen: Mohr Siebeck, 1997, pp. 148–161); Peter Schäfer, "Zur Geschichtsauffassung des rabbinischen Judentums," *JSJ* 6, 1975, pp. 167–188 (reprinted in idem, *Studien zur Geschichte und Theologie des Rabbinischen Judentums*, Leiden: Brill, 1978, pp. 23–44; cf. in the introduction, pp. 13–15, my discussion with Herr); Moshe D. Herr, "Tefisat ha-historyah etzel Hazal," in *Proceedings of the Sixth World Congress of Jewish Studies*, vol. 3, Jerusalem: World Union of Jewish Studies, 1977, pp. 129–142; Isaiah Gafni, "Concepts of Periodization and Causality in Talmudic Literature," *Jewish History* 10, 1996, pp. 29–32; idem, "Rabbinic Historiography and Representations of the Past," in *Cambridge Companion to Rabbinic Literature*, ed. Charlotte Fonrobert and Martin Jaffee (forthcoming)

العهد الجديد (حصرياً تقريباً الأناجيل الأربعة) كما نعرفه أو بصيغة مشابهة للذي بين أيدينا اليوم. من هنا، فالقصص الحاخامية في معظم الحالات، هي إعادة رواية لرواية العهد الجديد، إجابة أدبية على نص أدبي.[1] دعونا الآن نُلَخِّصُ المقولاتَ الأبرز، التي تَظْهر في المصادر الحاخامية، والتي إعْتَبرها الحاخامات بوضوح ممثلة للطائفة المسيحية ولمؤسسها.

الجنس

الجنس، وبدقة أكثر، التخليطُ في العلاقات الجنسية بلا تحليل ولا تحريم، هو الصفةُ الأبرزُ التي تهيمن على عدد كامل من القصص الحاخامية. التخليط في العلاقات الجنسية بلا تحليل ولا تحريم مقدّم لتوه كأساس لقصة عن الطائفة المسيحية، وَبَطلها هو ابنُ امرأة اسمها مريم وحبيبها بانديرا – *مامزير*، المولود خارج إطار الزواج (لأن أمهُ كانت متزوجة من واحد اسمه ستادا أو باباس بن يهودا). الوضعية الشرعية لابن الزنا محددة في التوراة على النحو التالي: " ولا يدخل نغل (*مامزير*) [لا ترد هذه الكلمة إلا هنا وفي سفر زكريا ٩:٦ ولا يُعرف معناها الدقيق. ووفقاً للتفسير اليهودي، كالمتحدرين من زواجات بين إسرائيليين وغرباء، ويستشهد في هذا المجال بسفر نحميا ١٣:٢٣، وإنَّ كانت الكلمة بحد ذاتها غير موجودة – المترجم] في جماعة الرب " (سفر التثنية ٢٣:٣)، مصير يشترك فيه الخصيون والعمونيون والموآبيون: إنه مستبعد من جماعة إسرائيل للمستقبل المنظور.[2] وأمهُ الزانية تستحق – بحسب

---

[1] يضع ريتشارد كالمين هذا الزعم في سياق أوسع في كتابه الجديد ***Jewish Babylonia: Between Persia and Roman Palestine***. (سينشر من قبل مطابع جامعة أكسفورد): " الفصول الثاني [" ملوك، كهنة، وحكماء "]، الثالث [المصادر اليهودية من حقبة الهيكل الثاني في المجموعات الحاخامية من نهاية العالم القديم "]، والسابع [" يوسيفوس في بابل الساسانية "]... يبرهن أن السمة شبه الرهبانية للحاخامات لم تساعد في إبعادهم عن كل أنواع التماس مع العالم الخارجي ... لأننا سنجد فيضاً من الأدلة بأن أدباً غير حاخامي وصل حاخامات بابل ووجد جمهوراً يتلقفه هناك " (المخطوطة، ص ١٢). لقد كان البرفسور كالمين لطيفاً بما يكفي لأن يشاركني فصولاً عديدة من هذا الكتاب بشكل مخطوطة.

[2] من أجل تعريف حاخامي لـ*مامزير*، أنظر: m Yev 4:13; Sifre Deuteronomy, 248 (ed. Finkelstein, pp. 276f.); y Yev 4:15/1–5, fol. 6b–6c; b Yev 49a–b

الشريعة التوراتية والحاخامية – عقوبة الموت رجماً أو خنقاً، كما تُقَرر التوراة في حالتنا، أي الزنا بين امرأة متزوجة وحبيبها: " وإن أخذَ رجلُ يضاجع امرأة متزوجة، فليموتا كلاهما، الرجل المضاجع للمرأة والمرأة، واقلعْ الشر من إسرائيل " (سفر التثنية ٢٢:٢٢).[١] وهكذا، ففي ظل تطبيق صارم للشرع التوراتي، كان لا بد من رجم أم يسوع. ولا يبدو التلمود مهتماً بما حَدَث لأمه لاحقاً، لكن ابنها ينطبق عليه جزء آخر من المشناه (عبادة الأوثان)، وكان سَيُرجم بالفعل. وهكذا، وبحس تهكمي عال، فإن ولادة يسوع من أم زانية إنما تشير إلى موته العنيف.

وكما رأينا من قبل، فإنَّ هذه القصة حول الأم الزانية وابنها ابن الحرام، هي القصة المناقضة تماماً لزعم العهد الجديد، بأنَّ يسوع ولد من عذراء مخطوبة لأحد المنحدرين من بيت داوود. مقابل قصة العهد الجديد (مع تناقضها المتأصل بين " زوج " و " خطيب ") يُلَفِّقُ التلمود قصتهُ المناقضة، شديدةُ التأثير، حَوْلَ الزانية وابنها ابن الحرام (الذي يفترض أنه من جندي روماني)، مُثبتاً ومن ثم العقم الكامل لأي زعم بالانتساب إلى داوود (ومن ثم أي زعم مسياني). وكابن حرام، فيسوعُ ينتمي إلى جماعة إسرائيل بمعنى محدد فقط. وواحد من قيود وضعه يتضمّن، أنهُ لا يستطيع أنَّ يعقد زواجاً شرعياً على امرأة يهودية وأن يكون أباً لأطفال يهود – بغض النظر عن تأسيس جماعة تزعم بأنها " إسرائيل الجديدة ".

هذا الهجوم المقذع على الزعم المسيحي بالولادة من عذراء يمكن أن يُفسّر إطلاق الاسم الغريب بانثيرا\بانتيرا\بانديرا\بانتيري في معظم تنويعاته[٢] على حبيب مريم ووالد يسوع الحقيقي (في المصادر اليونانية وكذلك الحاخامية). الاشتقاق

---

[١] الرجم باعتباره العقوبة المناسبة مذكور بصراحة في حالة الزنا بين عذراء مخطوبة وأحد الرجال (سفر التثنية ٢٢:٢٣ – ٢٤ [فإذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فصادفها رجل في المدينة فضاجعها، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا]). الشيء ذاته ينطبق على المشناه (سنهدرين ٤:٧): " التالون يرجمون... من يرتكب الزنا مع عذراء مخطوبة ".

[٢] أوردت ونوقشت باعتناء شديد من قبل Maier, *JesusvonNazareth*, pp. 264–267

الأخير من بين كل الاحتمالات التي يناقشها ماير، والذي يجده " آسراً من النظرة الأولى "، لكنهُ مع ذلك يغض النظر عنه،[1] هو الافتراض بتحريف مقصود لبارثينوس parthenos (" عذراء ") إلى بانثيروس *pantheros* (" نمر "). هذا التفسير، الذي اقترحهُ للمرّة الأولى ف. نيتش[2] وتبعه في ذلك عدد كبير من الباحثين،[3] يبدو أكثر معقولية ظاهرياً من بورنيا *porneia* (" سفاح المحارم ") التي هي صعبة فيلولوجياً كتحريف لبورنوس\بورنيه\بورنيا.[4] والواقع أنها التحريف المدروس التام للكلمة بارثينوس parthenos لأنها قراءة معكوسة للأحرف " ر "، " ث "، و " ن ": بانثيروس pantheros. وهكذا فبويارين محق بالمطلق حين يقول: إنَّ ما نصادفهُ هنا هو عرف حاخامي معروف يتجلى في السخرية من الأسماء المقدسة الوثنية أو المسيحية عن طريق تغييرها بهدف الانتقاص منها،[5] مثل *بناي إله* (" وجه إله ") التي تصبح *بناي كلب* (" وجه كلب ").[6] لكن الشيء الأهم في حالتنا، هو القراءةُ المعكوسةُ

---

(1) Ibid., p. 267

(2) F. Nitzsch, "Ueber eine Reihe talmudischer und patristischer Täuschungen, welche sich an den mißverstandenen Spottnamen *Ben-Pandira* geknüpft," *Theologische Studien und Kritiken* 13, 1840, pp. 115–120. يفسّر نيتش هذا التلميح إلى " النمر " بالشبق المزعوم عند النمر ويفسّر بالتالي " يشو بن بانديرا " بأنه " يسوع ابن العاهرة ".

(3) Paulus Cassel, *Apologetische Briefe I: Panthera-Stada-onokotes: Caricaturnamen Christi unter Juden und Heiden* (Berlin 1875), reprinted in idem, *Aus Literatur und Geschichte*, Berlin and Leipzig: W. Friedrich, 1885, pp. 323–347 (334f.); Laible, Jesus Christus im Thalmud, pp. 24f.; L. Patterson, "Origin of the Name Panthera," *Journal of Theological Studies* 19, 1918, pp. 79–80; Klausner, *Jesus of Nazareth*, p. 24; Karl G. Kuhn, *Achtzehngebet und Vaterunser und der Reim*, Tübingen: J.C.B. Mohr (Paul Siebeck), 1950, p. 2, n. 2. آخر من كتب في الوضوع هو بويارين (*Dying for God*, pp. 154f., n. 27) الذي يعيد اكتشاف هذا التفسير (يعزا اكتشافه الأول خطأ لكاسّل). كل هذه التفاسير تعتمد على الافتراض (المضلل) بتبديل فيلولوجي لموقع الحرفين " ر " و " م ".

(4) Samuel Krauss, "The Jews in the Works of the Church Fathers," *JQR* 5, 1892–1893, pp. 122–157; 6, 1894, pp. 225–261 (pp. 143f): " *بانديرا* ليس غير برونه، تسمية معدلة بالتأثيرات الصوتية. يشو بن بانديرا سوف تعني يسوع، ابن العاهرة "؛ idem, *Das Leben Jesu nach jüdischen Quellen*, p. 276 (*pornos*). وفقاً لهذا التفسير، *ek parthenou* (" من عذراء ") تصبح *ek porneias* (" من الزنا ").

(5) Boyarin, *Dying for God*, p. 154, n. 27

(6) t AZ 6:4

للأحرف الساكنة في الكلمة اليونانية - ليس صدفة أن تكون على خطى الممارسة السحرية (!) في القراءة المعكوسة للكلمة (*ل-مافريا*): عبر تبديل بارثينوس parthenosإلى بانثيروس، لا يُمارس الحاخامات حالة " تنافر أصوات cacophemism "[١] فقط؛ بَلْ يتلفظون بتعويذة سحرية، أو بإخراج الأرواح الشريرة من الجسم exorcism، "و يحولون " ولادة يسوع من عذراء إلى ولادة من جندي من عوام الرومان اسمه بانثر. لكن برهان ماير الهام ضد هذا الاشتقاق (الذي يمكن فهمه كتورية معقدة؟)[٢] يبخس للغاية من قيمة الحاخامات وقرّائهم. وكل ما نعرفه من المصادر الحاخامية والمصادر الوثنية إنما يشير إلى أن الرسالة المناقضة اللئيمة للعهد الجديد – مريم كانت عاهرة وابنها كان ابنُ حرام – كانت الرد اليهودي على الدعاية المسيحية عن الأصل الإلهي ليسوع.

التلميحات الأخرى في نصوصنا الحاخامية إلى التخليط الجنسي الذي لا يميّز بين حلال وحرام، إنما يشير إلى الابن السيء، إلى التلميذ المبتذل، ،وإلى فهم المسيحية كعبادة داعرة. الابن السيء الذي يفسد طعامه بعيشه لحياة غير محتشمة يتحوّل إلى الابن الحقيقي لأمه الزانية، وذلك بحسب الشعار: ما الذي يمكن أن نتوقعه منه؟ ومن جديد، فهذا الاتهام يمكن أن ندعمه بالقصة في العهد الجديد التي تتعلق بمعرفة يسوع بإحدى النساء غير الأخلاقيات، التي تحدد هويتها لاحقاً بأنها مريم المجدلية – أو يمكن دعمه أيضاً بالقصة الغنوصية حول كون يسوع " عشيقاً " لمريم المجدلية، من بين كل النساء.[٣]بهكذا سيرة عائلية، لا عجب أيضاً أن تلميذا ناضجاً (يسوع) لحاخام تقي (يهوشوا بن براحيا) يكتسب أفكاراً سخيفة ويدس في ذهن معلمه

---

[١] مصطلح يعزوه بويارين لشؤول ليبرمان.

[٢] *JesusvonNazareth*, p. 267

[٣] أنظر: King, *Gospel of Mary of Magdala*, p. 153

أفكاراً غير محتشمة (المضيفة الأنثى سيئة السمعة في نزل معين)،[1] التي يرفضها الحاخام بأنفة والتي تؤدّي على نحو غير متعمد إلى ولادة الطائفة المسيحية.

وأخيراً، اتهام الحاخام اليعازر بن هيركانوس بالممارسة السرية للمسيحية، التي تُفهمُ بأنها عبادة داعرة مرتبطة بالبغاء. وهنا ندخل منطقة مختلفة: نحن لا نعود نتعامل مع يسوع ذاته، أصوله، سلوكه، ومصيره، بل مع حاخام بارز والذي يصبح، إذا جاز القول، الأنموذج البدئي للمسيحية الأولى، التي تمت صياغتها وفق خطوط التخليط الجنسي الذي لا يميّز بين حلال وحرام (والسحر). غالباً ما نجد أن التخليط الجنسي الذي لا يميّز بين حلال وحرام والسحر متلازمان على نحو وثيق (سأعود للموضوع الأخير حالاً). إن السلوك الجنسي المشين الذي يقدّم هنا ليس متعلقاً بفرد (يسوع) بل، وذلك أسوأ بكثير، بأتباعه الذين ينغمسون في تهتك جنسي جماعي: إن معتنقي طائفة يسوع يتبعون نصيحته إلى درجة مفرطة حتى أن حفلات الجنس الجماعي صارت، إذا جاز القول، " العلامة المميزة " لأتباع يسوع. يمكن أن نجد هذه التهمة أيضاً في الأدبين الوثني والمسيحي القديمين، ويجب أنْ لا نتفاجأ إذا ما علمنا أن السلطات الرومانية اتهمت الحاخام اليعازر بها. فهي تظهر بالفعل في حوار المدافع المسيحي يوستينوس الشهيد مع طريفون، المكتوب في روما في منتصف القرن الثاني. وهناك، يوجه يوستينوس لمحاوريه اليهود الكلام التالي:

يا أصدقائي، هل ثَمّة تهمة أخرى تسوقونها ضدنا غير هذه، بأننا لا نحفظ الشريعة، ولا نختتن بالجسد كما فعل أسلافنا، ولا نحفظ السبت كما أنتم تفعلون؟ أو هل أنتم تدينون أيضاً أعرافنا وأخلاقنا؟ هذا ما أقوله، إلا إذا كنتم، أيضاً، تعتقدون أننا نأكل اللحم البشري وبعد ولائمنا نطفئ الأنوار وننغمس بملذات شهوانية لا

[1] من هنا، فإن ما يحصل للتلميذ يسوع في النزل بعيد عن كونه " سوء فهم تراجيدي " (Boyarin, *Dying for God*, p. 24

ضابط لها؟ أو أنكم تدينوننا فقط بسبب اعتقادنا بهكذا مبادئ وتمسكنا بآراء أنتم تعتبرونها مزيفة؟[١]

بعد أن أشار للمرة الأولى إلى الفارق المعروف والواضح بين اليهود والطائفة المسيحية الجديدة، (لا يختنون ولا يحفظون السبت)، يبدأ يوستنيانوس الحديث عن الشائعات التي انتشرت: بأن المسيحيين يحتفلون طقسياً بممارسات جنسية جماعية يقومون خلالها بتناول لحم البشر وبممارسة الجنس الخالي من أي تحليل أو تحريم. إن جواب اليهودي طريفون القصير (" هذه التهمة الأخيرة هي ما يدهشنا، أجاب طريفون. فالتهمُ الأخرى، تلكَ التي يَسُوقها الرعاع ضدكم لا تستأهل أن تصدق، لأنها منفرة جداً للطبيعة البشرية ") يكشف أن هذه الإشاعات المريعة كانت منتشرة بالفعل، لكنَّه لَمْ يتعامل معها بجدية كبيرة: والنقاش التالي يظهر، أنهُ مهتم أساساً بالعادة المسيحية حول عدم مراعاة السبت والأعياد وعدم ممارسة الختان. علاوة على ذلك، يبدو أنه تجاهل مسألة مصدر هذه الإشاعات – أو أنه اعتبر الإجابة مسلماً بها – فيهملها ببساطة باعتبارها منفرة. مع ذلك، لا يترك يوستنيانوس في الحوار لاحقاً أدنى شك في أنه يحمّل اليهود مسئولية الشائعات: " وأنتم [اليهود] تتهمونه [يسوع] بأنه علّم تلك الأشياء السفيهة، المحرّضة على الشغب، والشريرة، والتي تتهمون بها حيثما كان كلُ أولئك الذين احترموه وأقروا به مسيحاً لهم، معلماً لهم، وابناً لله ".[٢]

لا شك أن " السفيهة، المحرّضة على الشغب، والشريرة " إنما تشير إلى عربدات تناول اللحم البشري والجنس المذكورة آنفاً، ولا شكَّ أنَّ اليهود لا يقدّمون

. Justin, Dialogue, 10:1 (in *St. Justin Martyr: Dialogue with Trypho*, transl. [1] Thomas B. Falls, rev. and introd. Thomas P. Halton, ed. Michael Slusser, Washington, DC: Catholic University of America Press, 2003, p. 18)؛ أنظر أيضاً: : " *Apol.* I:2 وما إذا كانوا يرتكبون هذه الأفعال المشينة والتي لا تصدق – قلب المصباح، وممارسة الجنس بلا تحليل ولا تحريم، وأكل اللحم البشري – فنحن لا نعرف ".

[2] Justin, Dialogue, 108:2 (*St. Justin Martyr: Dialogue with Trypho*, trans. Falls, p. 162)

هنا فقط على أنهم مصدر الإشاعات، بَلْ بوصفهم أولئك الذين ينشرونها في كافة أرجاء العالم المتمدن، مرسلين " رجالاً بعينهم يختارون بالتصويت " إلى كل جزء من الإمبراطورية كممثلين رسميين، "يعلنون أن طائفة ملحدة وبلا شريعة أطلقها محتال، هو يسوع الجليلي ".[1] لكن ما هو على وجه الدقة هذا الطقس الغريب المتمثل في تناول لحم البشر والجنس. يقدّم لنا ترتوليانوس، زميل يوستينيانوس الأصغر منه سناً (النصف الثاني من القرن الثاني) تقريراً بتفاصيل تصويرية أكثر. وفي *اعتذاره*، المكتوب عام ١٩٧، يكتب:

يقال إننا الأكثر إجراماً بين بني البشر (sceleratissimi)، وفي جوهرِ طَقْسِنا العبادي، قَتْلُ الأطفالِ وتناول لحم الأطفال. الذي يتناسب معه (sacramento infanticidii et pabulo inde) وسفاح المحارم، الذي يعقب الولائم، حيثُ الكلاب قوادونا في الظلمة، فعلاً، يقومون بنوع من الاحتشام أمام الشبق الآثم عبر قلب المصابيح. ذلك ما تقولونه عنا دائماً، في أي حدث يحصل؛ ومع ذلك، فأنتم لا تشعرون بأي ألم في أن تحضروا تحت ضوء النهار ما كنتم تقولونه عنا طيلة هذا الزمن الطويل. إذن، أقول، إما أن تظهروا ذلك، إذا كنتم تصدقون هذا كلّه، أو أن ترفضوا تصديقه بعد تركه بلا تمحيص.[2]

---

[1] Ibid.؛ انظر أيضاً: *Dialogue*, 17: " لكنك في ذلك الوقت اخترت وأرسلت رجالاً مختارين في كافة أرجاء الأرض ليخبروا أن هرطقة المسيحيين الملحدة أينعت، وأن ينشروا تلك الأمور التي يعرف كل من يعرفنا أنها لا تحكي عنا". يقارن أوريجانوس بين عدوه سلسوس (الفيلسوف الوثني، الذي كتب عام ١٧٨ هجومه على المسيحية) و"أولئك اليهود الذين نشروا، حين بدأت المسيحية أول تبشير لها، تقارير كاذبة عن الإنجيل، مثل أن "المسيحيين يقربون رضيعاً كأضحية، ويتشاركون في جسده"؛ ومن ثم أقول، " إن معلمي المسيحية، في رغبتهم للتعامل مع أفعال الظلام، يطفئون الأنوار (في اجتماعاتهم)، ويمارس كل واحد منهم الجنس مع أية امرأة يصدف أن يلتقيها " (Origen, *Contra Celsum*, 6:27; transl. in *The AnteNicene Fathers: Translations of the Fathers down to A.D. 325*, ed. Alexander Roberts and James Donaldson, vol. 4, Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1989, p. 585)

[2] Tertullian, Apology, 7:1 (*Tertullian Apology—De spectaculis*, transl. T. R. Glover, London: William Heinemann; Cambridge, MA: Harvard University Press, 1953, pp. 36f.). الأرجح أن ترتوليانوس يعكس تهماً وثنية بحق المسيحية.

في المقطع التالي نجد المزيد من الحدة في المحاكاة التهكمية اللئيمة حول الطقس المسيحي المفترض، عندما يدعو محادثه. اليهودي بشكل تهكمي كي ينضم إلى المسيحيين:

تعال، أغمِدْ سكينك في الطفل، الذي هو ليس عدواً لأحد، الذي لَمْ يرتكب أدنى خطيئة، الذي هو طفل للجميع؛ أو، إذا كان ذلك مهمة رجل آخر، ما عليك إلا أنَّ تقف (وذلك كل شيء)، قرب هذا المخلوق البشري الذي يحتضر وقبل ذلك كان حيّاً؛ تراقب النفس الصغيرة وهي تغادر؛ تمسك بدم الطفل، وتغمس خبزك فيه؛ فكله واستمتع به. أثناء ذلك، وأنت مضطجع على أريكتك، خمن الأمكنة التي يمكن أن تكون فيها أمك أو أختك؛ خذ حذرك بحيث لا تركب أية خطيئة، حين تحل ظلمة الكلاب التي تتدبّر الأمر. سوف تكون آثماً بخطيئة، ما لم تكن ارتكبتَ سِفاحَ المحارم. هكذا تدخل في الدين، هكذا تكرّس، هكذا تحيا إلى الأبد...

يجب أن يكون معك طفل، ما يزال غضّاً، والذي لا يعرف شيئاً عن الموت، والذي يمكنه الابتسام تحت السكين؛ إقسِمْ رغيفاً، لتغمِسهُ بدمه الريان؛ أضف حاملات مصابيح ومصابيح، كلباً أو كلبين، وبعض الطعامُ لتجعل الكلاب تقلب المصابيح؛ لكن قبل كل شيء، يجب أن تأتي مع أمك وأختك.[1]

(1) Ibid., 8:2–7. قصة مشابهة للغاية يخبرنا بها المنافح اللاتيني مينوسيوس فلكس في عمله *أوكتافيوس*، وهو حوار بين وثني ومسيحي (Octavius, 9:1–7, in *The Octavius of Marcus Minucius Felix*, trans. Gerald H. Rendall, London: William Heinemann; Cambridge, MA: Harvard University Press, 1953, pp. 336–339; and cf. also *Octavius*, 31): يتعرّف واحدهم على الآخر عبر إشارات وعلامات سريّة؛ فيقعان في الحب حتى قبل أن يتعارفا؛ ويقدمون حيثما كان ديانة شبق (*quaedamlibidinumreligio*)، "أخوية رجال " و " وأخوية نساء " لا تحلل جنسياً ولا تحرّم تحول الزنا العادي، في ظل اسم مقدّس، إلى سفاح محارم ... تفاصيل الدخول في الدين للأعضاء الجدد مقززة بقدر ما هي فاحشة. يوضع رضيع، مغلف بالعجين لتضليل غير المرتابين، بجانب الشخص الذي سيدخل في الدين. يتم إغواء الذي سيدخل حديثاً في الدين عندها كي يقوم بما يبدو أنه ضربات غير مؤذية على العجين، ودون قصد يقتل الرضيع من خلال ضرباته غيرِ المرتابة؛ الدم – أوه، يا للهول – يلعقونه بشراهة؛ الأعضاء يمزقونها إرباً؛ وعلى الضحية يصنعون رابطة وعهداً، وعبر مشاركتهم في الإثم يلتزمون بصمت متبادل ... وفي يوم محدد يجتمعون على وليمة مع

هذه القصة، كما بَرْهَنَ إلياس بكرمان في مقالةٍ شهيرة له،[1] ليست سوى تحوير لرواية دعائية مضادة لليهود أصلاً والتي تتهم اليهود بأكل طقسي للحم البشر. كان أبرز من رَوّجَ لها من المعادين لليهود أبيون، وهو عالم يوناني من أصل مصري في الاسكندرية في القرن الأول، والذي هو من يروي، وفقاً ليوسيفوس، " الإشاعة الخبيثة " عن اليهود الذين يأسرون أحد الغرباء (يوناني)، فيشدون وثاقه، يذبحونه، وأخيراً يأكلون لحمه ضمن طقس احتفالي غريب.[2] في نسختنا المعادية للمسيحية، يتألف الاجتماع السري من عنصرين، هما أكل لحم البشر، وحفلات الجنس الجماعي بين المشاركين، وبدقة أكثر (عند ترتوليانوس) حفلات جنس سفاح المحارم الجماعي. الوصفُ الأكثرَ تفصيلاً من ترتوليانوس، حيث دم الطفل المذبوح يجمع بالخبز ومن ثم يتشارك به كل الحاضرين، هو محاكاة ساخرة واضحة للخبز والخمر في الإفخارستيا.[3] كما تبدو حفلات الجنس الجماعي عكساً للوصية المسيحية، بأن يُحِب

كل أولادهم وأخواتهم وأمهم، ناس من كلا الجنسين ومن كل عمر. هناك، بعد احتفال كامل، حين يسخن الدم ويشعل الشرب نار شغف شبق نكاح المحارم، يتم إغواء كلب مربوط بالمصباح بلقمة شهية ترمى خارج مدى الحبل المربوط به لأن يقفز مندفعاً إلى الأمام. فينقلب ضوء الحكواتي وينطفئ، وفي الظلمة التي لا تعرف الحياء، يتم تبادل العناق الشبق دون أدنى تمييز؛ وكلهم مثل بعض ينخرطون، إن لم يكن بالفعل، فبالمشاركة، بسفاح محارم،ككل شيء يحدث عبر فعل لأفراد يتبع عن نية مشتركة ". بالنسبة لإطفاء الأنوار، الباحثون لم يقرروا ما إذا كان ترتليانوس يسبق مينوسيوس فلكس (في هذه الحالة فإن *أوكتافيوس* كتب في بدايات القرن الثالث) أو ما إذا كان العكس أي مينوسيوس فلكس كان قبل ترتليانوس (في هذه الحالة لا بد أن يكون *أوكتافيوس* قد كتب قبل عام ١٩٧). أنظر لأجل هذا: Hans Gärtner, "Minucius Felix," *in Der Kleine Pauly. Lexikon der Antike*, Munich: Deutscher Taschenbuchverlag, 1979, col. 1342. على أية حال، يبدو أن مرجع مينوسيوس هو فرونتو (قارن: *Octavius*, 9:6 and 31:2)، المعلم الذي كان له تأثير قوي على الإمبراطور ماركوس أوريليوس (مات بعد عام ١٧٥).

[1] Elias Bickerman, "Ritualmord und Eselskult. Ein Beitrag zur Geschichte antiker Publizistik," in idem, *Studies in Jewish and Christian History*, vol. 2, Leiden: Brill, 1980, pp. 225–255 (original publication in *MGWJ* 71, 1927). أنظر أيضاً: Burton L. Visotzky, "Overturning the Lamp," JJS 38, 1987, pp. 72–80; idem, *Fathers of the World*, pp. 75–84

[2] Josephus, *Contra Apionem*, 2:91–96

[3] في نهاية القرن الرابع، يتهم إيفانيوس، أسقف سالاميس في قبرص، طائفة النيقولاويين المسيحية بممارسة الفاحشة كل مع الآخر ويأكل سائلهم المنوي ودم طمثهم (*Panarion* 26:4f. in *The Panarion of Epiphanius of Salamis*, book 1, sects 1–46, trans. Frank Williams, Leiden: Brill, 1987, pp. 85–87). هذه الطائفة مذكورة عند إيريناوس في النصف الثاني من القرن الثاني، حيث يمارسون الزنا ويأكلون أشياء

أحَدنا الآخر.[1] وهكذا، ووفقاً لآباء الكنيسة الأوائل، فاليهود تبنوا الرواية الدعائية التي كانت موجهة ضدهم أصلاً وحولوها إلى سلاح قوي ضد المسيحية بهدفٍ معلنٍ، هو تكذيب الطائفة الجديدة مرةً وإلى الأبد.

من منظور تهكمي، نجد أنَّ الحاخامات في قصتنا التي عن اليعازر بن هيركانوس، هم الذين يتبنون هذه الدعاية المعادية للمسيحية ويطبقون (جزءاً منها) على واحد منهم – ليصِمُوهُ، ويقضوا عليه، كأحد كبار المراطقة.

السحر

السمة البارزة الأخرى عند الطائفة المسيحية، وَمُؤَسسُها، هيَ السحر. وفي البابلي وحده ترتبط (بشخص تلميذ الحاخام يهوشوا بن براحيا) بشخص يسوع: لم يكن هذا التلميذ (يسوع) غيرَ محتشم ومِيالاً للجنس فحسب؛ بلْ أطلق أيضاً عبادة الطوب الوثنية وأضل إسرائيل، كما يُفَسّرُ التلمودُ، عبر ممارساته السحرية. التلميحات المتبقية للسحر محفوظة في مصادر فلسطينية: أولاً، بشكل غير مباشر، في ميل الحاخام اليعازر بن هيركانوس لدعم حججه بالمعجزات؛ والثانية، والأبرز، في القصتين، حولَ الساحرين المسيحيين (يعقوب الذي من كفر سما والمعالج المجهول) اللذين كانا يشفيان باسم يسوع.

وكون يسوع ساحراً، بجانب أو (غالباً مع) تهمة الاختلاط الجنسي بلا تحريم ولا تحليل، هو "العلامة المميزة" الأخرى للمسيحية، كما تُعكس في المصادر الوثنية

مقربة للأوثان (*Adversus Haereses* 1, 26:3, in *St. Irenaeus of Lyons against the Heresies*, trans. and annot. Dominic J. Unger, rev. John J. Dillon, New York and Mahwah, NJ: Paulist, 1992, pp. 90f.).

[1] الفيلسوف المسيحي أقليمنضدس الإسكندري (تقريباً ١٥٠ – ٢١٥) يتهم طائفة الكاربوكرانيين بالتجمع لأجل ممارسة جماعية للجنس، ثم يضيف بتهكم: "لن أسمي اجتماعهم أغابيه – محبة – مترجم" (Stromata 3, 2:10–16).

والمسيحية القديمة. وكما رأينا من قبل، فالفيلسوف والأفلاطوني- المحدث سلسوس، يتحدّث عن ابن المرأة الزانية، الذي اكتسبَ قوىً سحريةً في مصر وَتخيلَ، بسبب هذه القوى، أنه الله. وقبله (في منتصف القرن الثاني)، نجدُ مرةً أخرى يوستنيانوس الشهيد، الذي يقدّم وصفاً كاملاً، مستوحى بوضوح من العهد الجديد، عن خداع يسوع السحري:

كما قلتُ من قبل، فأنتم [أيها اليهود] اختَرْتُم بعضَ الرجال عن طريق التصويت وأرسلتموهم إلى جميع أنحاء العالم المتحضر، ليُعلنوا أنَّ طائفةً ملحدةً لا شرع لها (*hairesis*) أطلقها مضلل (*apo* (...*planau*)، هو واحد اسمهُ يسوع الذي من الجليل، الذي كنا سَمّرناهُ على الصليب، لكن جسده، بعد أن تَمَّ إنزاله عن الصليب، سُرِقَ في الليل من القبر مِنْ قِبل تلاميذه، الذين يحاولون الآن خداع البشر (*planōsi*) في التأكيد على أنه قد قام من بين الأموات وصعد إلى السماء.[1]

لدينا هنا توجه كامل للاتهام بالسحر: "*hairesis*"، وتعني حرفياً "مدرسة" أو "طائفة" تنحرف عن أصل مشترك، وسبب ذلك أحد الدجالين. الكلمة اليونانية التي تعني "مخادع" أو "دجال" (*planos*) مرتبطة بشكل وثيق مع السحر، كما يتضح من الاقتباس التالي من *حوار* يوستنيانوس:

نبعُ ماءِ الحياة[2] الذي يتدفقُ من عند الله على الأرض الخالية من معرفة الله (أي، أرض الوثنيين) كان مسيحنا الذي أظهره على الأرض وسط شعبكم، فشفى أولئك الذين كانوا منذ الولادة مكفوفين، صُماً وَعُرجاً. لقد شَفاهم بكلمته، فجعلهم يمشون، يسمعون، ويَرون. ومن خلال إعادة الموتى إلى الحياة، أجبر الناس في ذلك

---

(1) Justin, *Dialogue*, 108:2 (*St. Justin Martyr: Dialogue with Trypho*, trans. Falls, p. 162)؛ أنظر أيضاً: Tertullian, *De spectaculis*, 30.

(2) إرميا ٢:١٣.

العصر على الاعتراف به. مع ذلك، ورغم أنهم [اليهود] شهدوا هذه الأفعال الخارقة بأعينهم، فقدْ نسبوها لفن السحر؛ وجرأوا في الواقع على أنْ يَدْعوهُ ساحراً (*magos*)، مخادع الشعب (*laoplanos*).[1]

يسوع الحقيقي، كما يراه يوستنيانوس، هو الشافي، الذي يشفي المقعدين ويحيي الموتى – لكنَّ اليهودَ غير المصدقين، يُحرِّفونَ هذه القوة الشافية الموثوقة إلى سِحْرٍ خَدّاع. فيزعمون – عندما صُلب، مات على الصليب، ووضع في القبر – أنَّ أتباعهُ (مُضَللو المضلل) سَرَقوا جثته من القبر سراً، ثُمَّ راحوا يؤكّدون، أنهُ قام من بين الأموات وَصَعد إلى السماء . ومن الواضح، أنَّ هذا إشارة إلى متى ٢٧: ٦٣ وما بعد، حيث يُقدم الكاهن الأعظم والفريسيون الحجة نفسها لبيلاطس:

(٦٣) قائلين: يا سيد، قَدْ تذكرنا أنَّ ذلك المُضِلُّ (*planos*) قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم (٦٤) فأمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلا ويسرقوه، ويقولوا للشعب: إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى.

.يتبع بيلاطس مشورةَ رؤساء الكهنة والفريسيين، وَيُرسِلُ الجنودَ لحراسة القبر. وحين أخبرَ الحراس رؤساء الكهنة عما شاهدوه (القبر فارغ وملاك يحرسه)، قدّم لهم الكهنة رشوة وأمروهم قائلين:

---

(1) Justin, *Dialogue*, 69:6f. (*St. Justin Martyr: Dialogue with Trypho*, trans. Falls, pp. 108f.). من أجل الرأي بيسوع كساحر ومغو، أنظر: Martin Hengel, *The Charismatic Leaderand His Followers*, New York: Crossroad, 1981, p. 41, n. 14

(١٣) قولوا، إن تلاميذهُ أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيامٌ (١٤) وإذا سمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه، ونجعلكم مطمئنين (١٥) فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم، فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم.[١]

الملاحظة الأخيرة من قبل الإنجيلي [صاحب النص في الإنجيل – مترجم] (" ما تزال هذه القصة تروى بين اليهود إلى هذا اليوم") تقدّم أمرين واضحين. أولا، لقد اعتُبِر اليهود، وفقاً لمتى، هُمْ مَنْ اختَلقَ هذه النسخة التشهيرية لأحداث ما بعد الصلب، وثانياً، أن هذه الرواية المناقضة للعهد الجديد شكّلت مسيرة مهنية طويلة لأنها انتشرت على نحو عدواني من قبل اليهود. لا عجب أن يخشى يوستنيانوس السؤال، الذي يوضع بوضوح في فم أحد اليهود: "ما الذي يستبعد [فرضية] أنَّ هذا الشخص الذي تسمونه المسيح كان إنساناً، من أصل بشري، وقد قام بهذه المعجزات التي تتحدّثون عنها عبر فنون السحر (*magikē technē*)، فظهر ومن ثم وكأنه ابن الله (*hyiontheou*)؟"[٢]

ليس من قبيل المصادفة حتماً، أن يوستنيانوس هنا، بطريقة سلسوس نفسها تماماً، يربط الخداع السحري بغطرسة كونه ابن الله. الخداع السحري يؤدي إلى عبادة الأوثان، وهذا ما هو على المحك هنا.[٣] السحر بحد ذاته، رغم حظره بشكل صارم في التوراة[٤] لكنه مع ذلك يمارس،[١]كان يعامل بنوع من التسامح من قبل

---

[١]متى ٢٨: ١٣ – ١٥.

[2]Justin, *Apol.* I:30 (*Saint Justin: Apologies*, ed. André Wartelle, Paris: Études Augustiniennes, 1987, pp. 136f.); English translation: *Early Christian Fathers*, transl. and ed. Cyril C. Richardson, Philadelphia: Westminster, 1953, p. 260

[٣]على النقيض مما يقوله ماير (*Jesus von Nazareth*, p. 250)، الذي يحاول التمييز بين " الخداع " و" الإغواء لعبادة الأوثان " – ومن جديد نقول، من أجل فصل الوثني من المصادر الحاخامية.

[٤]أنظر، مثلاً، سفر التثنية (١٨: ٩ – ١٤): " متى دخلت الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم. لا يوجد فيك من يجيز ابنه او ابنته في النار و لا من يعرف عرافة و لا عائف و لا متفائل و لا

الحاخامات، والحقيقة أنَّ بعضهم كان يمارسه (ليس أقلهم الحاخام اليعازر بن هيركانوس)[٢]وهكذا، ليست ممارسة السحر، هيّ التي تُزعجُ الحاخامات كثيراً؛ بضلْ يهاجمون المطالب المرافقة له: السلطة والقوة المنافسة. وليس من قبيل المصادفة، أن المعلّم في القصة البابلية المتعلقة بيهوشوا بن براحيا وتلميذه يخلص من عبادة يسوع الوثنية للطوب إلى أنه " مارس السحر وخدع *وضلل إسرائيل* "[٣]وهذا هو بالضبط التوبيخ الذي عَبَّر عنه بعضُ اليهود ضد يسوع في إنجيل يوحنا: " وكان في الجموع مناجاة كثيرة من نحوه [يسوع]. بعضهم يقولون: إنه صالح. وآخرون يقولون: لا، بَلْ يُضِلُّ الشعب "يمارس السحر وخدع وقاد إسرائيل في ضلال. ": (يوحنا ٧:١٢).

مثال ساطع على صراع القوى السحري هذا بين السلطات المتنافسة تحفظه لنا قصة العهد الجديد عن سيمون الساحر:[٤]

ساحر. و لا من يرقي رقية و لا من يسال جانا أو تابعة و لا من يستشير الموتى. لان كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب و بسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك. تكون كاملا لدى الرب إلهك. أن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين و العرافين و أما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا ".

[١]أمثلة بارزة هي قصص الأوبئة العشرة (سفر الخروج ٧ – ١٢)، " الأفاعي اللاذعة " (سفر العدد ٢١: ٦ – ٩)، أو ما يدعى بمحنة الغيرة (٥: ١١ – ٣١).

[٢]يميّز الحاخامات عملياً بين الخداع المجرد (عهيزات عنايم)، الذي هو مباح، والسحر " الحقيقي "، الذي هو محرّم؛ أنظر: Peter Schäfer, "Magic and Religion in Ancient Judaism," in *Envisioning Magic. A Princeton Seminar & Symposium*, ed. Peter Schäfer and Hans Kippenberg, Leiden—New York—Köln: Brill 1997, pp. 19–43; Veltri, *Magie und Halakha*, pp. 27ff., 54f.; Philip Alexander, "The Talmudic Concept of Conjuring (*AhizatEinayim*) and the Problem of the Definition of Magic (*Kishuf*)," in *Creation and Re-Creation in Jewish Thought: Festschrift in Honor of Joseph Dan on the Occasion of His Seventieth Birthday*, ed. Rachel Elior and Peter Schäfer, Tübingen: Mohr Siebeck, 2005, pp. 7–26.

[٣]أنظر الفصل الثالث.

[٤]سفر أعمال الرسل ٨: ٩ – ١٣؛ حول سيمون الساحر؛ أنظر: Karlmann Beyschlag, *Simon Magus und die christliche Gnosis*, Tübingen: Mohr (Siebeck); 1974

(٩) و كان قبلاً في المدينة رجلٌ اسمهُ سيمون يستعمل السحر(*mageuōn*) ويدهش شعب السامرة قائلا إنه شيء عظيم (١٠) و كان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة (*kaloumenē Megalē hē dynamis tou theou hē*) (١١) و كانوا يتبعونه لكونهم قَدْ اندهشوا زمانا طويلا بسحره (*taismageiais*). (١٢) و لكن لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا و نساء (١٣) وسيمون أيضاً نفسه آمن و لما اعتمد كان يلازم فيلبس[١] وإذ رأى آيات و قوات عظيمة تجري انْدَهَش.

سيمون، الساحر العظيم، بسبب سلطاته السحرية، التدفق المباشر للقوة الإلهية (مرشح آخر " لابن الله ")، يتبع رسالة الرسل ويتعمّد. لماذا؟ ليس فقط بسبب الرسالة المسيحية؛ لكن أيضاً (وربما في المقام الأول) لأنه مقتنع بالقوة السحرية الفائقة للرسل. وحتى بعد معموديته يَظَلُ متأثراً بعروضهم السحرية (وهذه، بالطبع، معجزات). السحر الأفضل "يضله"، أي أنه يَغْوِيهِ إلى وثنية الطائفة اليهودية الجديدة.

الخطرُ الكامنُ في ممارسة السلطة السحرية (الوثنية)، هو السببُ في أنَّ الحاخامات في حالة الحاخام اليعازر بن هيركانوس ردوا بحساسية ودون مهاودة أبداً على مداخلته السحرية. يَلعبُ الحاخام اليعازر بقوته السحرية ضد سلطة زملائه الحاخامات[٢] - ويخسر هذا الصراع على السلطة حتى وفاته: السلطة الحاخامية لا يمكن أنْ تقوم بتسوية مذلة مع السحر ولا يجب أن تفعل ذلك.[٣] الشيء ذاته ينطبق على يعقوب، الذي من كفر ساما وزميله المجهول: قواهما الشفائية السحرية، الأفضل

[١] أحد الأحد عشر؛ أنظر سفر أعمال الرسل ٦:٥.
[٢] والذي هو أيضاً سلطة الفرد مقابل سلطة الغالبية.
[٣] والحقيقة أنه يظل ساحراً حتى النهاية المرة، لكنه يقبل من جديد ضمن طاقم الحاخامات بعد أن يجيب بشكل مرض على أسئلة حول الطهارة (!): يموت وهو يتلفظ بكلمة طهور (طهارة) فيرفع الحرم (سنهدرين البابلية ٦٨ ب).

حتى مما يرغب به الحاخامات (لا يمكنهم منعها، إلا إذا أخبَطوها عبر سماحهم بموت الضحية المسكين)، لكنه مع ذلك، سِحرٌ غير مُصَرّح به ويجب محاربته مهما كلّف ذلك. إن القوة السحرية التي أظهرها يسوع وأتباعه، تهددُ سلطة الحاخامات ومطالبتهم بقيادة شعب إسرائيل. ومن ثم، ما هو على المحك هنا هو سلطة الحاخامات مقابل سلطة يسوع، والذي يبرر – ويقرر – بين شركاء[1] متعادلين مقابل قوة فردية جامحة. بالنسبة الحاخامات، فَقد أُعطيت لهم مفاتيح ملكوت السماوات (عبر التوراة، التي لَمْ يكن الله راغباً أنْ يبقيها في السماء لكنه قرَّر إعطاءها لهم)؛ بالنسبة للمسيحيين، فالمفاتيح الآن في يد إسرائيل الجديدة، الذين لديهم إمكانية الوصول إلى الله على الأقل من خلال قوتهم السحرية.

عبادة الأوثان والتجديف

في القصة البابلية عن إعدام يسوع، يتضحُ عُمْقُ الترابط بين السحر وعبادة الأوثان في التصور اليهودي. هناك، يلخص المنادي جريمته: لقد مارسَ السحر وحَرّضَ (*hesit*) وأغوى (*hediah*) إسرائيل. و كما رأينا من قبل، فإن *mesit* و*maddiah* هي المصطلحات التقنية التي تُطلقُ على الشخص الذي يغوي فرداً سراً أو كثيرين علناً، كي يعبدوا الأوثان، وكان يسوع أُتهِمَ صراحة بالإثنتين: لقد قام بعمله الكارثي والبغيض في السر وكذلك في عَلن، فاستحقَ ومن ثم أنْ يعدم مَرّتين. فقد أثرت نوعية وثنيته الخاصة – وهددت – بجماعة إسرائيل كلها.

[1] مع أن هنالك في الواقع تقسيمات تراتبية صارمة بين الحاخامات. لكن هذا ليس موضوعنا هنا. فالحاخام إليعيزر بن هيراكنوس لا يخسر صراع السلطة لأنه أدنى تراتبياً.

أسوأ عابد أوثان هو شخص لا يقومُ بالدعاية لبعض الآلهة الوثنية فَحَسبْ – شيء مريع بما يكفي، لكنه معروف جيداً من قبل الحاخامات –؛ بَلِ الذي يقول عن نفسه إنه الله أو ابن الله.[1] إنه التجديف الذي يستحق عُقوبةُ الإعدام رجماً، وفقاً للتوراة: "و من جدف (*noqev*) على اسم الرب، فإنهُ يقتلُ، يرجمهُ كل الجماعة رجم الغريب، كالوطني عندما يجدف على الاسم يُقتل " (سفر اللاويين ٢٤ :١٦). في المشنا،[2] فإنهُ حتى التلفظ باسم الله الرباعي [يهوه] أو (tetragrammaton) يعاقب عليه بالإعدام رجماً – فكم بالحري أنْ ينطبقَ على هذا على المجدف الذي يطلق اسم الله على لنفسه؟ من هنا كان السخط الهائل لكبير الكهنة، الذي مَزّق ثيابه عند سماع تجديف الكفر من يسوع (متى ٢٦: ٦٣-٦٥):[3]

(٦٣) فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحي، أنْ تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله. (٦٤)قال له يسوع: أنت قلت وأيضا أقول لكم: من الآن تبصرون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين القوة، وآتيا على سحاب السماء. (٦٥)فَمزّقَ رئيس الكهنة حيئئذ ثيابه قائلا: قَدْ جَدّفَ ما حاجتنا بعد إلى شهود؟ ها قد سمعتم تجديفه.

هنا، يسوع يربط بين قيامته المتوقعة وصعوده إلى السماء، مَع زَعْمِه بأنهُ ابن الله: الابن سيعود إلى مكانه الأصلي، أي عرشه بجوار عرش والده في السماء. هذا التجديف الذي لا يمكن تصوره يتطلب التحرك الفوري من السنهدرين: فرض عقوبة الإعدام.

---

[1] يميّز البابلي (سنهدرين ٦١ آ – ب) بين فعل المطالبة بأن تعبد والعبادة الفعلية: بالنسبة للحالة الأولى، يختلف الحاخامات التنائيون حول ما إذا كان شخص كهذا يستحق الموت أم لا، بينما بالنسبة للحالة الأخيرة يتفق الجميع على أن شخصاً كهذا لا بد من إعدامه. من هنا، الأمر ليس مجرّد الإعلان بل الإغواء الناجح لعبادة الأوثان هو الذي يهم.

[2] m Sanh 7:5

[3] مرقس ١٤: ٦١ – ٦٤؛ لوقا: ٢٢: ٦٧ – ٧١؛ يوحنا ١٩ :٧.

الشيءُ نفسه ينطبق على "تلاميذ" يسوع، الذين، كما أُبرهن ، يستخدمون كشيفرات لزعم يسوع، بأنهُ المسيحُ وانه الله. القضاةُ الحاخاماتُ متأكدون أنَّ يسوعَ لَمْ يصعد إلى السماء ولَمْ يمثل أمام الله (متاي)، وأنه ليس أحد الضحايا الأبرياء لليهود (نقاي)، وأنه ليس المسيح الذي من نسل داود (نصر)، وأنه ليس ابن الله وبكره (بوني)، وأنه ليس ذبيحة العهد الجديد (توداه): بالمقابل، فيسوع يستحق أنْ يموت، وسوف يموت، والأكثر حتمية، أنه لَنْ يقوم من بين الأموات ولَنْ يضمنَ لتلاميذه-أتباعه الحياة الأبدية.

هذا النقدُ المدَمِرُ لزعم يسوع أنهُ من أصل إلهي هو الأكثر وضوحاً في التلمود البابلي، لكنه ليس خاصّاً به وحده. وعلى الرغم من أننا لا نجد في مصادر الأدب الحاخامي الأخرى ما يُشير بصورة مباشرة وصريحة ليسوع، لدينا نصّان يلمحان بوضوح إلى زعمه التجديفي. نص محفوظ في التلمود الأورشليمي، حيث يعزا القول التالي للحاخام أباهو، وهو حاخام فلسطيني من نهاية القرن الثالث/أوائل القرن الرابع:[1]

حينَ يقولُ لكَ إنسانٌ:

ألله أنا (إيلاَني) -

فهو كاذب.

أنا ابن الإنسان (بنآدم) -

فسوف يندم عليه؛

---

(1) y Taan 2:1/24, fol. 65b . نسخة متأخرة وأكثر تطوراً عن هذا المدراش يمكن أن نجدها في طبعة سالونيك ١٥٢١ – ١٥٢٧ للمجموعة المسماة يلقوط شموني، (end) 765 § , أنظر Maier, *Jesus von Nazareth*, pp. 87f.).

أنا أصعد إلى السماء –

لقد قاله، لكنه لن يفعله.[1]

هذا المدراش هو تفسير لنبوءة بَلْعام في سفر العدد (٢٣: ١٨-٢٤): " ليس اللهُ إنساناً فيكذب؛ ولا ابن إنسان فيندم، هَلْ يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفي. إني قد أُمرت أن أبارك، فانه قَد باركَ فلا أرده ". في السياق الأصلي لوحي بَلْعام، فهذا يعني أنه رغم أمر بالاق بلعن إسرائيل، كان على بلعام اتباع أمر الله بأن يبارك إسرائيل، وهو الأمر الذي لا يمكن إبطاله. وقد سلطت الضوء على المصطلحات ذات الصلة في الآية التوراتية وفي تفسير الحاخام أباهو، ويمكن لنا أن نرى بسهولة مدى التطابق فيما بينهما (التوراة: المدراش).

(١) ليس الله إنساناًفيكذب: الإنسان الذي يقول لك إنه الله هو كاذب.

(٢) الله ليس ابن إنسان فيندم(= يبطل مرسومه): إنسان يقول لك إنه ابن إنسان سيندم.

(٣) هل يقول ولا يفعل: الإنسان الذي يقول لك إنه ذاهب إلى السماء لن يفي بوعده.[2]

لقد جمع ماير النصوص التوراتية والمدراشية المشابهة لهذا النص في رغبة منه لأن يُثبت أنهُ يشير في سياقه الأصلي إلى ملوك الأمم (وأبرزهم حيرام)، الذين إرتقوا بأنفسهم إلى مكانة الآلهة فعوقبوا على غطرستهم.[3] وهذا صحيح دون أدنى ريب.

---

[1] هذا الجزء الأخير هو نسخة مختصرة من نص من سفر العدد ١٩:٢٣.

[2] الحلقة الأخيرة هذه من السلسة مفقودة نوعاً ما؛ وبشكل خاص، فالوعد بالصعود إلى السماء ليس له معادل في الآية التوراتية.

[3] Maier, *Jesus von Nazareth*, pp. 76–82.

لكن هَلْ صحيح أيضاً أن المصطلح " ابن الإنسان " في المدراش "الأصلي" لا يمثّل لقباً، بَلْ إنهُ يشير ببساطة إلى إنسان؟ صحيح، ففي حزقيال ٢:٢٨ [يا ابن آدم قل لرئيس صور هكذا: قال السيد الرب: من أجل أنه قدْ إرتفع قلبك و قلت أنا إله في مجلس الآلهة اجلس في قلب البحار و أنت إنسان لا اله وإن جعلت قلبك كقلب الآلهة]، يزعم حيرام، ملك صور، أنه إله ويوبخ على هذه الغطرسة ("أنت إنسان [آدم] لا اله ") – لكن ما هو الخطأ في زعمه أنه هو "ابن الإنسان"، ولماذا يُقال إنه سَينْدم على قوله هذا؟[1] حيرام يسمى "إنساناً" وليس "ابن الانسان" (من الملفت للنظر كفاية، أنهُ في سفر حزقيال ٢:٢٨ فإنَّ النبي هو من يُدعى "ابن الانسان")، ومن ثم فتفسير حيرام ينتمي إلى الجزء الأول من مدراشنا (إنسان – إله) وليس إلى الجزء الثاني الذي يشير إلى " ابن الإنسان ". وإذا ما أخذنا البنية المعقدة للمدراش على محمل الجد، "فابن الإنسان" تتوافق مباشرة مع "إله": فالإنسان الذي يقول لك إنه إله هو كاذب، والإنسان الذي يقول لك إنه ابن الإنسان سيندم على ذلك.[2] من هنا، فمدراش الحاخام أباهو، هو في الواقع أكثر بكثير من مجرد انعكاس لتقاليد حيرام الموثقة جيداً. ومن المحتمل جداً، أنه يُذهبُ أبعد من ذلك بكثير فيفهم "ابن الإنسان" كلقبٍ يُشيرُ إلى يسوع، كما تشهد على ذلك الأناجيل[3] في كثير من الأحيان (لذلك أكتبها بأحرف نافرة في الترجمة). هذا التفسير يتماشى مع حقيقة أن الحاخام أباهو عاش في قيصرية، وهي مركز الحكم الروماني والمسيحية الفلسطينية بالذات؛ بَلْ يحاول بعض الباحثين،

---

[1] يشير ماير (ibid., p. 79) إلى الشخصيات الموازية لأدم التوراتي: مثل آدم، الذي طرد من الجنة (وتأسف على شعوره بالطمأنينة)، حيرام أبعد عن سلطته (وتأسف على شعوره بالطمأنينة). لكن هذا لا معنى له في سياقنا.

[2] في الجزء الأول من التفسير، التأكيد ليس على الله ليس كونه إنساناً\ابن الإنسان، بل على الله ليس كونه إنساناً يكذب\ابن الإنسان الذي يتوب.

[3] بدقة أكثر: إنه يظهر، ماعدا سفر اعمال الرسل ٥٦:٧ (في فم ستفانوس)، فقط في الأناجيل وفي فم يسوع ليس إلا. حول " تاريخية " العنوان؛ أنظر: Geza Vermes, *Jesus the Jew: A Historian's Reading of the Gospels*, Philadelphia: Fortress, 1981, pp. 177–186.

أنْ يثبتوا أنهُ كان يَعْرف أحد آباء الكنيسة المدعو أوريجانوس (مات عام ٢٥٣) أو تعاليمه على الأقل.[١]

وأخيراً، الجزء الثالث والأخير من المدراش. هنا، فالزعم بالصعود إلى السماء لا يُغطى بالآية التوراتية من سفر العدد ١٩:٢٣ (التوراة تؤكّد للتو، دون تقديم مثل، أنَّ الله يفي بوعوده دائماً). مرة أخرى، يمكن القول أنَّ مدراشنا يَرفضُ (لكن هذه المرة ليس حيرام) غطرسة نبوخذ نصر، الذي يقول عنه إشعياء (إشعياء ١٤ : ١٣ وما بعد): " وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السماوات. أرفع كرسيي فوق كواكب الله... أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلي"، والذي يحصل على ما يستحق من توبيخ (إشعياء ١٤:١٥): " لكنك انحدرت إلى الهاوية [شيئول]، إلى أسافل الجب ".[٢] لكن هذا ليس سوى جزء من الإجابة. ضمن تسلسل الله ابن الإنسان-الصعود إلى السماء، فإنهُ يجعل من المنطقي أكثرَ أنْ يستنتج أن الحاخام أباهو يستخدم تقليداً مدراشياً معقداً يطبقه على يسوع وحركته: يسوع هو كائن بشري عادي، وليس الله، وليس ابن الإنسان، وهو بالتأكيد لَمْ يصعد إلى السماء ليعود إلى أبيه السماوي.

المدراش الآخرُ ذو الصلة محفوظ أيضاً في مرجع فلسطيني، ألا وهو المدراش الوعظي بسيقتا راباتي. وهو ينسب للحاخام هيا بار أبا، وهو أمورا بابلي المولد، من نهاية القرن الثالث\بداية القرن الرابع، والذي أمضى معظم حياته في فلسطين:[٣]

حين يقول لك ابن زانية (*برا دى زنتا*):

---

[١] أنظر: Ephraim E. Urbach, "Homilies of the Rabbis on the Prophets of the Nations and the Balaam Stories," *Tarbiz* 25, 1955/56, pp. 286f.

[٢] Maier, *Jesus von Nazareth*, p. 80.

[٣] PesR 21, ed. Friedmann, fol. 100b–101a. النسبة للحاخام هيا بار أبا هو السبب في إدخالي لهذا المدراش في نقاشي، رغم التاريخ المتأخر (نسبياً) لتأليف البسقتا رباتي.

هنالك إلهان،

أجبه:

أنا الذي من البحر، وأنا الذي من سيناء! [...]

وحين يقول لك ابن زانية:

هنالك إلهان،

أجبه: لم يكتب هنا (في سفر التثنية ٥: ٤): " الأرباب[١] تحدثت [*ديبرو إلوهيم*] [لك] وجهاً لوجه " لكن " الله[٢] تحدّث [ديبر يهوه] [إليك] وجهاً لوجه على الجبل ".

وكما كانت الحال مع المدراش السابق، فالإجابتان المقدمتان على السؤال الهرطوقي ليستا غير لاهوت حاخامي قياسي. فالأولى تشير إلى المدراش الشهير عن الله، الذي رغم ظهوراته التاريخية المختلفة (الممثلة في ظهوره في البحر الأحمر وعلى جبل سيناء)، يبقى دائماً واحداً وهو ذاته. على الرغم من أنه في البحر الأحمر ظهر كمحارب، و كان ومن ثم شاباً، وعلى جبل سيناء كمانح حكيم وهادئ للتوراة، ومن ثم كرجل عجوز، فاللهُ يكونَ ويبقى دائماً الله ذاته. إنه لا يتغير، والمرء بالتأكيد لا يمكنه أنْ يستنتج من أشكال مظاهره أنَّ هنالك أكثر من إله واحد.[٣] وبالمثل، فالإله

---

[١] بصيغة الجمع.
[٢] بصيغة المفرد.
[٣] النص-البرهان القياسي على هذا هو مخيلتا، يترو ٥، تحرير هوروفيتس-رابين؛ ص ٢١٩ وما بعد (مع نصوص موازية عديدة).

المشار إليه في الآية التوراتية عن الوحي على جبل سيناء بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع هو دليل واضح على أنه يوجد إله واحد وليس إلهين أو أكثر.[١]

مع ذلك، فهذا الاستخدام للمواد المدراشية التقليدية لا يعني بالضرورة أن نصنا لا علاقة له بيسوع.[٢] وليس كذلك إمكانية أننا بدلاً من ذلك، ربما نكون نتعامل مع مهاترات معادية للغنوصية، تشكّلُ دليلاً مناقضاً مقنعاً.[٣] بالعكس من ذلك تماماً، " فالغنوصية " غامضة جداً كعنوان كي تكون ذات قيمة كبيرة - وينبغي أن لا يُلْعبُ بها ضد" المسيحية "بأية حال، حيث غالباً بما فيه الكفاية لا يمكن فصل أي منهما عن الأخرى بدقة في مصادرنا الحاخامية. والحجة الرئيسية لصالح الجدلية المعادية ليسوع، هي الجملة الافتتاحية للنص، " حين يقول لك ابن زانية "، طبعاً. ومن يمكن أن يكون "ابن الزانية" غير يسوع، ابن الحرام، المولود من أم زانية، الذي يُميز نفسه عن زملائه الحاخامات بعيشهِ حياةً من الاختلاط الجنسي الذي لا يعرفُ حلالاً من حرام وبرعونه؟ الاقتراحُ الذي يقولُ إنَّ هذا اللقب المنحط، إنما يشير إلى عبدة الأوثان أنفسهم[٤]، بدلاً من يسوع، هو تفسيرٌ ضعيفٌ للغاية ولا يشرح أي شيء. لا شك، أن يسوع هو المقصود بهجوم الحاخام هيا حين يقول " ابن العاهرة " الذي يزعم أنه الله، الذي هو من مرتبة متساوية مع الله الذي يقول عنه اليهود إنه واحد أحد.

القيامة والإفخارستيا

الشرط الأساسي لزعم يسوع بأنه ابن الله، هو الاعتقاد بقيامته: أنه فقط من خلال قيامته وصعوده إلى السماء لاحقاً يمكن للمجرم الذي تمَّ إعدامه أن يثبت أنه في

---

[١] النص-البرهان الكلاسيكي هو براخوت رابا ١ :٧، تحرير تيودور-ألبك I، ص ٤ (مع العديد من النصوص الموازية).

[٢] كما برهن ماير على ذلك من جديد، بشكل تجسيمي تماماً (*Jesusvon Nazareth*, pp. 244–247).

[٣] Ibid., p. 246

[4] Ibid., p. 245

الواقع ابن الله. ونصوصنا الحاخامية، وكلها من البابلي، تؤكّد على أنَّ يسوع، بَلْعام الجديد، لا نصيب له في العالم القادم، فمصيره هو أنه يجب أن يُعاقب في الجحيم إلى الأبد، مع عدم وجود فرصة للخلاص – والأمر ذاته ينطبق على أتباعه: فمن الأفضل لهم التخلي عن أي أمل في كسب الحياة الأبدية في خلافته، كما يعد رسله.

لقد رأينا كيف يضع يوستنيانوس الشهيد هجوماً مماثلاً على قيامة يسوع المزعومة (كانت خداعاً سحرياً لَفّقه تلاميذه) في فم اليهود. لكن اليهود ليسوا نسيجاً وحدهم في مثل هذا التقييم للاعتقاد المسيحي بالقيامة. فلوقيانوس الساموساطي (حوالي ١٢٠ - ١٨٠ م)، الساخر اليوناني العظيم، يُسخّف أمل المسيحيين بالخلود. وفي عمله *موتبيريغرينوس* يفضح بيريغرينوس – فيلسوف ساخر، تعاطفَ لبعض لوقت مع قضية المسيحيين، والذي أحْرقَ نفسه وهو على قيد الحياة من أجل إظهار عدم مبالاته بالألم – باعتباره مشعوذاً، وفي هذا السياق قال: إنه يتحدّث عن اعتقاد غبي مماثل عند المسيحيين: "كما ترون، لغرض ما، أقنعَ الأشرارُ المساكين أنفسهم أنهم سيخلدون جميعاً وسيعيشون إلى الأبد، الأمر الذي يجعل معظمهم يتعامل مع الموت بخفة ويسلّمون أنفسهم طوعياً له".[١]

وسواء أكانت هذه الإجابة الساخرة على أحد المعتقدات الأساسية للمسيحية مستوحاة من مصادر جدلية يهودية أم لا (على الرغم من أن هذا الاحتمال لا يمكن استبعاده: فلغته الأم كانت السريانية)،[٢]فهي تعكس بشكل واضح مدى انتشارها في العالم اليهودي، وكذلك في العالم اليوناني الروماني. وتترك لفطنة ترتوليانوس الفارغة تلخيص ما يعتقده اليهود بيسوع. عندما يتصور بحيوية اليوم الأخير – مع الأباطرة

---

[1]Lucian, *Death of Peregrinus*, 13 (*Selected Satires ofLucian*, ed. and trans. Lionel Casson, New York and London: Norton, 1962, p. 369 .(

[2]أنظر: *The Dead Comes to Life*, 19 (*Lucian*, vol. 3, trans. A. M. Harmon, Cambridge, MA, and London: Harvard University Press, 1921; reprint, 2004, pp. 30f.); *The Double Indictment*, 25 (ibid., pp. 134f.), 27 (pp. 136f.)

الذين ادَّعوا أنهم أخذوا إلى السماء، حكام الأقاليم الذين اضطهدوا المسيحيين، الفلاسفة، الشعراء، التراجيديون، المصارعون، وأخيرا اليهود "، الذين صبّوا جام غضبهم على الرب، "كلهم يحترقون بنار جهنم، ثم يقولُ: إنهُ سيقدّم جوابه المظفر على اليهود:[١]

هذا هو، سأقول،

ذاك ابن النجار أو ابن البغي (*quaestuaria*)،

ذلك المنتهك للسبت،

ذلك السامري والذي مَسّهُ الشيطان!

هذا هو، الذي اشتريته من يهوذا!

هذا هو، الذي ضُرب بالقصبة والقبضة،

الذي دُنّس بالبصاق،

الذي أعطي المر والخل للشرب!

هذا هو، الذي سرقه تلاميذه سراً بحيث يُقال إنهُ قام،

ما لم يكن البستاني قد نقله،

حتى لا يعطب الخس بحشد المتفرجين!

[1] Tertullian, *De spectaculis*, 30 (*Tertullian Apology*—De spectaculis, transl. Glover, pp. 298f. :حول هذا المقطع، أنظر). Horbury, *Jews and Christians*, pp. 176–179.

تؤخذ معظم هذه الإهانات الجدلية من العهد الجديد مباشرة،[1] باستثناء السامري والبستاني: كانت ثمة محاولة بالنسبة للأول من أجل المطابقة بين يسوع وسيمون الساحر، الذي كان يقيم في السامرة (التأكيد من جديد على أن يسوع ساحر)،[2] ٦٥أما الثاني فربما أنه إشارة إلى يوحنا ٢٠:١٥ **[قال لها [مريم المجدلية] يسوع: يا امرأة، لماذا تبكين؟ من تطلبين؟ فظنت تلك أنه البستاني، فقالت له: يا سيد، إن كنت أنت قد حملته فقل لي: أين وضعته، وأنا آخذه]**، حيث تخطئ مريم المجدلية، حينَ تعتقد أنَّ البستانيَ أخذَ جثمان يسوع الذي كان قد قام من بين الأموات. ولا شك هنا بأن قمة التشويه اليهودي لحياة يسوع ومصيره، التي بدأت بالتلميح إلى ولادته كابن لعاهرة، هي مؤامرة تلاميذه لسرقة جثته من القبر من أجل اختلاق قيامته. وترتليانوس هو المؤلف الأول، الذي يتجاوز العهد الجديد ويزيد من حدة سخريته حين يقدّم البستاني على أنه قلق للغاية بشأن خضرواته.[3]

الإفخارستيا، العنصر المركزي الآخر في الممارسة المسيحية، مذكورة في مصادرنا اليهودية مرة واحدة فقط، وأيضاً فقط في البابلي. ومن المثير للاهتمام هنا، أن التلمود لا يربط بينها وبين الموضوعة السيئة حول أكل لحوم البشر التي كانت بارزة جداً في المصادر الوثنية والمسيحية. لكن ما لا يرويه التلمود، يكشف عما هو ليس أقل من إحساس شرير بالفكاهة: يعاقب يسوع بجلوسه إلى الأبد في جهنم في براز أتباعه، الذين يعتقدون أنهم من خلال تناول لحمه وشرب دمه، سوف يعيشون إلى الأبد.

---

[1] ابن النجّار: متى ١٣:٥٥؛ مرقس ٦:٣؛ ابن عاهرة: أنظر سابقاً، الفصل الأول؛ منتهك السبت: متى ١٢: ١ – ١٤؛ مرقس ٢: ٦:٢٣؛ لوقا ٦: ١ – ١١؛ الممسوس بالشياطين: متى ٩:٣٤، ١٠:٢٥، ١٢:٢٤؛ مرقس ٣:٢٢؛ لوقا ١١: ١٤–٢٣؛ يوحنا ٨:٤٨ (السامري الممسوس بالشياطين)، ١٠:٢٠؛ ابتيع من يهوذا: متى ٢٦: ١٤ وما بعد؛ مرقس ١٤: ١٠ وما بعد؛ لوقا ٢٢: ٣ – ٦؛ ضرب بالحربة والقبضة: متى ٢٧:٣٠؛ مرقس ١٥:١٩؛ يوحنا ١٩:٣؛ بصقوا عليه: متى ٢٧:٣٠؛ مرقس ١٥:١٩؛ أعطي خلاً وخردل كي يشرب: متى ٢٧:٣٤؛ مرقس ١٥:٢٣؛ يوحنا ١٩:٢٩ (الخل وحده عند يوحنا)؛ سرقه تلاميذه: متى ٢٧:٦٤؛ ٢٨: ١٢ – ١٥؛ صاحب البستان: يوحنا ٢٥:١٥ (عند يوحنا فقط).

[2] سفر أعمال الرسل ٨: ٩ – ١٣؛ أنظر أيضاً: يوحنا ٨:٤٨

[3] هذه المقولة موجودة بقوة في *تولدوت يشو*؛ مثلها مثل ولادة يسوع من عاهرة.

وهذا يمثل، كما رأينا، عكساً ساخراً لوعد يسوع لتلاميذه، أنهُ هو خبز الحياة وأن كل من يأكل لحمه ويشرب دمه، سوفَ ينال الحياة الأبدية. وفي العهد الجديد، يُعرب اليهود عن عدم تصديقهم لهذا الزعم الغريب. الآن، في التلمود، يجسّد عدم التصديق هذا ذاته في قصة غريبة لا نظير لها في الأدب اليوناني والروماني.

المصادر الفلسطينية مقابل البابلية

دعونا الآن نلقي نظرةً فاحصةً على مصادر الحاخامية، التي تقدم لنا وجهة نظرها حول يسوع والمسيحية، وبشكل أكثر تحديداً، على العلاقة بين المصادر الفلسطينية والبابلية. والتفريق هنا مكشوف تماماً: النصوص التي تشير بأكثر ما يمكن من التصويرية والصراحة لحياة يسوع ومصيره، إنما هي موجودة فقط في البابلي. وهذا ينطبق على:

- يسوع لقيط، ابن عاهرة: مع أن بن ستادا\ساترا لا يظهر في المصادر الفلسطينية (توسفتا، يروشالمي) – ليس عن طريق الصدفة أن يكون الشخص الذي يستورد السحر من مصر (يروشالمي) – فالتماهي مع اللقيط (يسوع)، ومن ثم مع الرواية المناقضة لقصة ولادة يسوع في العهد الجديد، محفوظ لنا في البابلي.

- يسوع ابن/تلميذ سيء، مذنب بالاختلاط الجنسي بلا حلال ولا حرام.

- يسوع تلميذ تافه يمارس السحر ويصبح من عبدة الأوثان (النص الموازي اليروشالمي يستبعد أي إشارة إلى يسوع).

- الوصف التصويري والمفصل لإعدام يسوع.

- تلاميذ يسوع (كشيفرات لمصيره الخاص)،

● عقاب يسوع في جهنم.

هذه قائمة مؤثّرة تتضمن بشكل واضح للغاية، اثنتين من الروايات المناقضة الرئيسة لأحجار الزاوية في حياة يسوع في العهد الجديد – ولادته وموته المؤلم. لا شك، إذن، أن جوهر قصة يسوع الحاخامية محفوظ في التلمود البابلي. بل يمكننا أن نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك: إن راف حسدا، الأمورا البابلي من الجيل الثالث (مات عند بداية القرن الرابع الميلادي)، هو الذي ينقلُ تقاليد حول أم يسوع الزانية والابن/التلميذ السيء، وكذلك يضيف، إلى قصة اليعازر بن هيركانوس، تعليمات تقضي بالابتعاد أربعة أذرع عن العاهرة. لقد درس راف حسدا في أكاديمية سورا، ومن المحتمل تماماً أن هذه الأكاديمية كانت "مركز" التقاليد البابلية حول يسوع (والتي لم تكن بأي حال من الأحوال مقتصرة على سورا لأن حاخامات بومباديتا يشاركون في النقاش حول أم يسوع وزوجها/حبيبها).

على النقيض من ذلك، تبرز صورةٌ مختلفةٌ جداً في المصادر الفلسطينية. هناك، لا يتم الاقتراب من يسوع مباشرة؛ والتركيز الرئيسي، هو على قوى الإشفاء عند تلاميذه (وأبرزهم يعقوب الغامض الذي من كفر سخانيا/سما)، ومن هنا جاءت السمة الهرطقية للطائفة التي أسسها. تتمركز النصوص الفلسطينية حول السحر: القوة الساكنة في السحر، كيف تعمل، والسلطة المتعلقة به. على هذه الخلفية يصوّر الحاخام اليعازر كشخص يستخدم سلطته السحرية ضد سلطة زملائه الحاخامات والذي وفقاً لذلك لا بد من القضاء عليه. والتهم التي وجهت إليه من قبل الحكومة الرومانية تبدو وكأنها تشير إلى طقوس عربدة جنسية معروفة في المصادر الوثنية والمسيحية.

من هنا فالمصادر الفلسطينية تستهدف أصل الطائفة المسيحية، التي نشأت على أرضية مشتركة مع اليهودية – إنها تكشف عن التهديد الذي لا بد أن شعر به

الحاخامات الفلسطينيون، خوفهم، ولكن أيضاً آليات الدفاع عندهم. على هذا النحو، فهي تعكس "الإنجذاب الحاخامي إلى المسيحية والنفور منها في آن"،[1] فهي تصف البداية الأولى بالذات على أنها "افتراق الطرق"-، لكنه افتراق احتاجَ إلى العديد من الأجيال. مع ذلك لا بد من التأكيد على أن هذه "اللقطة" قَدْ تمَّ تجميدها، إذا صح القول، على الأغلب في المصادر الفلسطينية. هناك، تبدو الطائفة الجديدة، وكأنها استحوذتْ مِنْ قِبلِ صيرورة أخذت شكل حركة ضد الحاخامات، الشكل الحاخامي لليهودية، ضد السلطة الحاخامية، حركة اشتبه بها علاوة على ذلك بأنها الفسق المسيحي.

خلاصة القول، أنه في حين تكشف عبارات الحاخامات الفلسطينيين (القليلة) عن التقارب النسبي مع الطائفة المسيحية الناشئة، عن أصلها بالذات و "لونها المحلي "، يركز البابلي الاهتمام على شخص يسوع، خاصة ولادته وموته.[2] بعبارة أخرى، وهو ما يدهش بما فيه الكفاية، وحده المصدر الأخير – المصدر الذي هو بعيد جغرافياً أيضاً عن موقع الحدث – الذي يتناول صراحة وعلناً الشخصية الرئيسية في الأحداث. هذه النتيجة الملفتة تستحق أن نوليها اهتمامنا بشكل كبير للغاية، لأنه قد تم تجاهلها إلى حد كبير من قبل معظم العلماء الذين تناولوا يسوع في التلمود.

---

[1] Boyarin, *Dying for God*, p. 27 .

[2] ريتشارد كالمن ("Christians and Heretics," pp. 160ff) يؤكّد أيضاً على الفرق بين المصادر الأقدم (الفلسطينية) و المصادر الأحدث (بشكل رئيس البابلية، لكن أيضاً بعض الفلسطينية). إضافة إلى إمكانية المواقف التاريخية المختلفة (المصادر الأقدم تبدو متقبلة لجاذبية المسيحية، أما المصادر المتأخرة فهي أكثر نقدية بكثير) فهو يلعب بالمواقف البلاغية الحاخامية المتبدلة (ص ١٦٣)، لكن، وبشكل خاص، " ميل التلمود البابلي لأن يتضمن مواداً مستبعدة عن التوليفات الفلسطينية " (ص ١٦٧). هذه الفكرة تحظى بكثير من التطوير في كتابه الجديد، *Jewish Babylonia: Between Persia and Roman Palestine* .

لماذا البابلي؟

أولاً، السؤال الذي يحتاج إلى معالجة: لماذا لم تكن المصادر الفلسطينية؟ لماذا اليروشالمي والمدراشيم يضبطان النفس بالنسبة للتقاليد المتعلقة بشخص يسوع أو بردود الفعل عليها؟ الجواب على هذا السؤال سهل نسبياً: كانت اليهودية الفلسطينية تحت التأثير المتنامي المباشر والمستمر للمسيحية في الأرض المقدسة. عندما هزم إمبراطور الغرب، قسطنطين، إمبراطور الشرق، ليسينيوس، عام ٣٢٤ م، كانت أول مرة يصبح فيها مسيحي حاكماً لفلسطين – مع آثار ذلك العميقة وطويلة الأمد أقلّه لليهود. وبالفعل، ففي عام ٣١٣، أصدر قسطنطين مرسوم ميلانو الذي منح المسيحية وضعاً قانونياً، وأنهى رسمياً اضطهاد المسيحيين. الآن، بعد انتصاره على منافسه في الشرق، صار باستطاعة قسطنطين أن يصدر – وينفّذ – المرسوم أيضا في شرق إمبراطوريته، بما في ذلك فلسطين. بدأت الآن عملية لا مفر منها ولا رحمة فيها والتي كان من شأنها أن تؤدي إلى انتصار في نهاية المطاف للمسيحية في فلسطين، انتصار لم يترك اليهود كما هو واضح ليسوا غير متأثرين به. انتشرت الجماعات المسيحية في جميع أنحاء فلسطين، فتم بناء الكنائس المسيحية، وتم إنشاء البنية التحتية للمسيحية، وتم جذب الحجاج المسيحيين من جميع أنحاء الإمبراطورية. زارت هيلانة والدة الإمبراطور فلسطين عام ٣٢٧، فأسست عدداً من الكنائس، كان أهمها وأروعها كنيسة القيامة في القدس وكنيسة المهد في بيت لحم (على الرغم من أن بناء الكنيسة الأولى كان بدأ بالفعل قبل وصولها في القدس: لا شك أن الإمبراطور لم يكن بحاجة إلى الكثير من الإقناع من قبل والدته). تم العثور على قطع أثرية بأعداد كبيرة، ليس أقلها بقايا الصليب، التي يزعمون أنها اكتشفت في الوقت المناسب من قبل الملكة بالذات، الأمر الذي شكل عامل الجذب الرئيسي لكنيسة القيامة.

صعودُ المسيحية في فلسطين، لا يعني أن اليهود حرموا من جميع حقوقهم وأضحوا تحت تهديد الاضطهاد المستمر؛ صورة قاتمة كهذه[1] لا تنصف حتماً ازدهار الحياة الدينية والثقافية اليهودية رغم واقع الأمر، والذي كان معظمه في الجليل بعد ثورة بار كوخبا. لكن لا يمكن لنا أن نشك، أيضاً، أن الحرية الدينية والسياسية لليهود راحت تصبح أكثر محدودية، بسبب تنامي التشريعات المعادية لليهود وأن اليهود بدأوا يصبحون أقلية تدريجياً مقابل الأغلبية العدوانية على نحو متزايد من المسيحيين في فلسطين. ولا يمكن لنا أن نتفاجأ ومن ثم، إذا لم يكن مناخ كهذا مواتياً للقيام بنقاشات موضوعية بين اليهود والمسيحيين، ناهيك عن النقد اليهودي لبطل الدين المسيحي.

إذا قارنا وضع اليهود والمسيحيين في فلسطين مع الشروط التي عاش بموجبها الطرفان في بابل، فسوف نحصل على صورة مختلفة. ففي ظل سلالة الساسانيين، التي استبدلت في القرن الثالث للميلاد بالأرشكيين البارثيين، صار الدين الزرادشتي، بعدائيته القوية بين الخير والشر وعبادته للنار، القوة الدينية التوحيدية في الإمبراطورية الفارسية شاسعة الحجم ومتعددة الأعراق. وسواء أكان بإمكاننا أن نصف الزرادشتية كدين دولة أم لا، كما يقترح بعض العلماء،[2] ليس ثمة شك في أنها كانت وثيقة الصلة بمطالبة الملوك الساسانيين بالسلطة؛ وهم الذين روجوا لها واستخدموها أساساً لتحقيق أغراضهم السياسية.[3] فاسبغوا على الماجي (*المجوس*)، كهنة الدين

---

[1] من أبرز المناصرين نجد: Avi-Yonah, *The Jews of Palestine: A Political History from the Bar Kokhba War to the Arab Conquest*, New York: Schocken, 1976, pp. 158ff., 208ff

[2] Geo Widengren, *Die Religionen Irans, Stuttgart*: Kohlhammer, 1965, pp. 274ff.; Jes Asmussen, "Christians in Iran," *The Cambridge History of Iran*, vol. 3 (2): *The Seleucid, Parthian and Sasanian Periods*, ed. Ehsan Yarshater, Cambridge: Cambridge University Press, 1983, p. 933; Richard N. Frye, The *History of Ancient Iran*, Munich: Beck, 1984, p. 301

[3] أنظر بشكل خاص التحليل الدقيق في Josef Wiesehöfer, *Ancient Persia from 550 BC to 650 AD*, London and New York: I. B. Tauris, 1996, pp. 199ff.

الزرادشتي، سلطة غير محدودة تقريباً (عندما كانوا يرون الأمر مناسباً سياسياً)، وهذا من أرفع وجهات النظر السياسية الوطنية التي لم تفرق كثيراً إلى أية ديانة منحرفة كان ينتمي من هو ضحية الحماس الديني المجوسي. ويمكن لنا أن نصادف مثالاً تصويرياً على هذه الحماسة الزرادشتية ضد أي دين آخر في النقش الشهير الذي يقدّمه كتير Katir، أحد أقوى الكهنة المجوس في عهد بهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣):

ولمحبة أوهرمزد[١] والآلهة، ومن أجل نفسه، رَفَع [بهرام الثاني] من مكانتي [مكانة كتير Katir] وألقابي في الإمبراطورية. . . . وفي جميع الأقاليم، في كل جزء من الإمبراطورية، فإنَّ أفعال عبادة أوهرمزد والآلهة قد تم تعزيزها. فالديانة الزرادشتية والمجوس تم تكريمهم كثيراً في الإمبراطورية. وحصلت الآلهة، "الماء"، "النار" و "الحيوانات الأليفة" على رضا كبير في الإمبراطورية، لكن أهريمان[٢] والأوثان عانوا من ضربات عظيمة وأضرار جسيمة. واختفت مذاهب أهريمان [الكاذبة] والأوثان من الإمبراطورية وفقدت مصداقيتها. واليهود (*ياهود*) والبوذيون (*شامان*)، الهندوس (*برامن*)، النصارى (*ناسرا*) والمسيحيون (*كريستيان*)، المعمدانيون (*ماكداغ*) والمانويون (*زانديك*) حطموا في إمبراطوريته، دُمِّرت أوثانهم، وأبيدت مساكن الأصنام وتحولت إلى بيوت ومقاعد للآلهة.[٣]

هذا إعلان قوي من الديانة الزرادشتية – إعلانٌ للحربِ، ضد كل الديانات الرئيسية الأخرى في الإمبراطورية الفارسية. اليهود والمسيحيون،[٤] جنباً إلى جنب مع غيرهم من الهرطقات، هُمْ على قدم المساواة بقدر ما يتعلّق الأمر بالغضب العارم

[١] أهورا مازدا، "إله الخير".
[٢] إله الشر، عدو أهورا مازدا.
[٣] من أجل ترجمة إنكليزية؛ أنظر: Wiesehöfer, *AncientPersia*, p. 199
[٤] من أجل الفرق بين "النصارى" (يفترض أنهم مسيحيون من أصل فارسي) و"المسيحين" (يفترض أنهم مسيحيون مبعدون من أصل غربي)؛ أنظر: Sebastian P. Brock, "Some Aspects of Greek Words in Syriac," in idem, *Syriac Perspectives on Late Antiquity*, London: Variorum, 1984, pp. 91–95; Asmussen, "Christians in Iran," pp. 929f

المجوسي، حيث لا فرق بينهما على الإطلاق (حتى وإن ذكر اليهود أولاً). مع ذلك لا ينقل هذا الموقف الرسمي، أو بالأحرى الأمثولة المرغوبة، لرجال الدين الزرادشتي الصورة الكاملة. فالواقع كان مختلفاً تماماً.

والحقيقة أن المسيحيين كانوا أسوأ حالاً بكثير من اليهود،[1] وهذا لأسباب سياسية ملموسة للغاية: عندما أصبحت المسيحيةُ الدينَ المعترف به رسمياً، والذي هو برعاية قسطنطين وخلفائه، صارت المسيحية فجأة العدو الرئيسي للإمبراطورية الساسانية- وهذا لَمْ يترك وضعية الرعايا المسيحيين عند الساسانيين دون تأثير. صار المسيحيون مشتبهاً بهم بعدم الولاء للدولة، وبأنهم يفضلون العدو، وبأنهم "طابور خامس" لروما في قلب الإمبراطورية الساسانية.[2] اندلعت أعمال اضطهاد على نطاق واسع ضد المسيحيين، أولاً في ظل شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩)، ومن ثم في ظل يزدجرد الأول (٣٩٩ - ٤٢١)، بهرام الخامس (٤٢١-٤٣٩)، ويزدجرد الثاني (٤٣٩ -٤٥٧).

(١) حول مكانة اليهود في ظل الحكم الساساني أنظر بشكل خاص المقالة الكلاسيكية: Geo Widengren, "The Status of the Jews in the Sassanian Empire," in *Irania Antiqua*, vol. 1, ed. R. Ghirshman and L. Vanden Berghe, Leiden: Brill, 1961, pp. 117–162; and Jacob Neusner, *A History of the Jews in Babylonia*, vols. 1-5, Leiden: Brill, 1967-1970.
من الدراسات الأكثر حداثة وتخصصاً، نذكر: Isaiah M. Gafni, *The Jews of Babylonia in the Talmudic Era: A Social and Cultural History*, Jerusalem: Zalman Shazar Center for Jewish History, 1990 (in Hebrew); Robert Brody, "Judaism in the Sasanian Empire: A Case Study in Religious Coexistence," in *Irano-Judaica II: Studies Relating to Jewish Contacts with Persian Culture throughout the Ages*, ed. Shaul Shaked and Amnon Netzer, Jerusalem: Yad Itzhak Ben-Zvi, 1990, pp. 52–62; Shaul Shaked, "Zoroastrian Polemics against Jews in the Sasanian and Early Islamic Period," in *Irano-Judaica II*, ed. Shaked and Netzer, pp. 85–104

(٢) أنظر: Asmussen, "Christians in Iran," pp. 933ff.; Sebastian P. Brock, "Christians in the Sasanian Empire: A Case of Divided Loyalties," in *Religion and National Identity: Papers Read at the Nineteenth Summer Meeting and the Twentieth Winter Meeting of the Ecclesiastical History Society*, ed. Stuart Mews, Oxford: Blackwell, 1982, pp. 5ff

عندما دخل قسطنطين، قبل فترة وجيزة من وفاته عام ٣٣٧، أرمينيا التي كانت قد اعتنقت المسيحية حديثاً، اجبر شابور الثاني على مواجهة مباشرة مع خصمه المسيحي. من الواضح أن هذا التهديد على الباب الأمامي تماماً للإمبراطورية الساسانية (مع حدود يصعب السيطرة عليها) لَمْ يبق دون أن يلحظه المسيحيون الساسانيون وربما يكون أثارَ توقعات معينة. ونحن نعرف أن حتى عام ٣٣٧،[١] كان أفراهاط، أحد آباء الكنيسة من السريان، يعلن مظفراً في كتابه *احتجاج ٥* النصر النهائي لقسطنطين والمسيحيين:

لقد حصل شعب الله على الازدهار، والنجاح في انتظار الرجل الذي كان أداة الازدهار [قسطنطين]؛ بل إن كارثة تهدد الجيش الذي جمعته الجهود التي يبذلها رجل شرير وفخور ومنتفخ بالغرور [شابور]. . . . لن تغزا الإمبراطورية [الرومانية]، لأن البطل الذي اسمه يسوع قادم بقوته، فدرعه سيدعم جيش الإمبراطورية بأكمله.[٢]

لَمْ تغب هذه التوقعات بالتأكيد عن بال شابور،[٣] وازداد تدخل قسطنطيوس، ابن قسطنطين وخليفته في الشرق، في أرمينيا لصالح الحزب الموالي للمسيحية. عندما حاصر شابور، عام ٣٣٨، المدينة الحدودية نصيبين دون جدوى، راحَ أخيراً يأخذ إجراءات ضد رعاياه المسيحيين، ليبدأ أوَّل الاضطهادات الذي استمر لفترة طويلة (حوالي أربعين عاماً) للمسيحيين في الإمبراطورية الساسانية. ومعلوماتنا عن هذا الاضطهاد ترجع إلى مجموعة كبيرة من النصوص باللغة السريانية، التي يعود تاريخها

---

[١] ربيع عام ٣٣٧ أو بداية صيفه: Timothy D. Barnes, "Constantine and the Christians of Persia," *JRS* 75, 1985, p. 130

[2] Aphrahat, Demonstration V:1, 24, in *PatrologiaSyriaca* I:1, ed. J. Parisot, Paris: Firmin-Didot, 1894, cols. 183–184 and 233–234.

[٣] بارنس، في عبارته الختامية (Constantine and the Christians of Persia," p. 136) يضع جوهر اللوم على قسطنطين: "كان قسطنطين هو الذي حقن بعداً دينياً في نزاع الحدود الاعتيادي، من خلال التماسه مناشدة رعايا شابور من المسيحيين بالنوع ذاته من طريقة مناشدته لرعايا ماكستيوس المسيحين ٣١٢ وليسنيوس عام ٣٢٤. خامس براهين أفراهاط يوضح الجواب الذي وجده".

إلى زمن شابور الثاني وتدعى أعمال الشهداء.[1] إنها متفاوتة القيمة التاريخية، لكنها تعطينا على العموم صورة حية عن الوضع.[2]

واحد من أبرز النصوص، استشهاد مار سمعان، كاثوليكوس الكنيسة المشرقية، يحدد لهجة القضايا السياسية والدينية المعنية ويعرض خليطها الذي لا يتجزأ. وعندما أصدر شابور مرسوماً يفرض على رعاياه المسيحيين ضرائب مزدوجة، رفض سمعان الانصياع، ووفقاً لأعمال الشهداء، انغمس في نقاش طويل مع الملك وكبار الشخصيات، والذي انتهى أخيراً باستشهاده. وقد دوّن رفض سمعان حسب الأصول من قبل المسؤولين الفرس الذين قدّموا تقريرهم إلى الملك، الذي هتف، بردة فعل من الغضب والحنق: "يريد سمعان أن يجعل أتباعه وشعبه يتمردون على مملكتي ويحولهم إلى عبيد لقيصر (*كايسار*)، أخيهم في الدين. ولذلك لَمْ ينصع لطلبي!"[3] "قيصر"، بطبيعة الحال، هو الإمبراطور المسيحي قسطنطين، وما هو على المحك هنا، في بداية الجدل بالذات، ليس النزاع الديني (لكني أؤكّد سيأتي هذا مباشرة) بل ولاء رعاياه المسيحيين للملك. بعكس اليهود الذين كانت لديهم كل الأسباب، لأن لا يثقوا بالإمبراطور المسيحي (بسبب حكمه في فلسطين) وأن يكونوا مخلصين للملك الساساني، فقد أثار المسيحيون شبهة الخيانة.

---

(1) *Acta Martyrum et Sanctorum*, vol. 1–7, ed. Paul Bedjan, Paris and Leipzig: Harrassowitz, 1890–1897؛ قطع مختارة باللغة الألمانية نجدها في Oskar Braun, *Ausgewählte Akten Persischer Märtyrer. Mit einem Anhang: Ostsyrisches Mönchsleben*, aus dem Syrischen übersetzt, Kempten and Munich: Kösel, 1915

(2) أنظر: Gernot Wiessner, *Untersuchungen zur syrischen Literaturgeschichte I: Zur Märtyrerüberlieferung aus der Christenverfolgung Schapurs II*, Göttingen: Vandenhoek & Ruprecht, 1967; and the learned review by Sebastian Brock in *Journal of Theological Studies*, n.s., 19, 1968, pp. 300–309. بغض النظر عن تاريخية سفر الأعمال، فإن سفر الأعمال يعكس بلا شك بيئة ثقافية والتي يستجيب لها اليهود.

(3) *AMS* II, p. 142; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 13؛ الترجمة الإنكليزية نجدها في Brock, "*Christians in the SasanianEmpire*," p. 8.

وهذا هو بالضبط ما يواصل أعمال سمعان الحديث عنه. اليهود، كما يقول، ليسوا فقط على بينة من عدم ولاء المسيحيين للملك، بَلْ استفادوا على نحو فعال منه لتشويه اسم المسيحيين أمام شابور. باستخدام ترسانة كاملة من الصور النمطية المسيحية المعادية لليهود (كان اليهود دائماً ضد المسيحيين، فقد قتلوا الأنبياء، صلبوا يسوع، رجموا الرسل، وهم عطشى لدماء المسيحيين)، يدعي أعمال سمعان، أنَّ اليهود افتروا على سمعان كما يلي: حين يرسل شابور، ملك الملوك، الخطابات الطويلة والحكيمة إلى الإمبراطور المسيحي (*كايسار*)، بجانب الهدايا الرائعة، تستقبل بالرفض؛ لكن عندما يرسل له سمعان رسالة سقيمة، ينهض الإمبراطور على قدميه فوراً، فيرحب بالرسالة بكلتا يديه ويستجيب لطلبات سمعان. ويكمل الأعمال حديثه، فيقول: "وعلاوة على ذلك، ليس لديك [شابور] سر من أسرار الدولة لم يكتب به [سمعان] لقيصر فوراً وينقله إليه ! "[١] وهكذا فهذا هو ما كان يحصل، حتى لو أنهم لم يحرّضوا على الاضطهاد الساساني للمسيحيين، فاليهود، الأعداء الدائمون ليسوع وأتباعه، أيدوا ذلك بفعالية.[٢]

إذا نظرنا إلى القضايا الدينية الأكثر عينية التي يطرحها أعمال الشهداء، فسوف نجد عدداً من الموضوعات التي كثيراً ما يتم التأكيد عليها. أولاً، وقبل كل شيء، هو رَفْضُ المسيحيين لعبادة الشمس والنار، الغرضين الأقدسين في الزرادشتية.[٣] أولُ استشهادٍ موصوف في الأعمال، ألا وهو، استشهاد الأسقف شابور وأخوته في

---

[١] AMS II, p. 143; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 14

[٢] أنظر: The Chronicle of Arbela, 54:2–3 (Kawerau), quoted in Wiesehöfer, *Ancient Persia*, p. 202: " وفتروا [اليهود والمانويون] لهم [لكهنة المجوس] أن المسيحين كلهم كانوا جواسيس للرومان. فلا شيء يحدث في المملكة لا يكتبون به لأخوتهم الذين يعيشون هناك ". تقترح ناعومي كولتون-فروم ("A Jewish-Christian Conversation in Fourth-Century Persian Mesopotamia," *JJS* 47, 1996, pp. 45–63) نوعاً من التمييز بين التورط اليهودي في الاضطهاد المادي للمسيحين (الذي هو غير مرجح) وبعض أنواع " الاضطهاد " الروحاني عن طريق جذب أشخاص إلى اليهودية من ضمن الجماعة المسيحية أو تقويض أسس اعتقاداتهم (ص ٥٠).

[٣] أنظر: Asmussen, "Christians in Iran," pp. 937f.; idem, "Das Christentum in Iran und sein Verhältnis zum Zoroastrismus," *Studia Theologica* 16, 1962, pp. 11ff.

الدين،[1] يبدأ بهذا الاتهام من المجوس، بأنهم لا يستطيعون ممارسة شعائرهم الدينية بسبب المسيحيين، الذين "يحتقرون النار، يسبّون الشمس، ولا يكرمون المياه."[2] اتهامات أخرى، هي أن المسيحيين يَرفضونَ تناول الدم (أي ذبح اللحوم طقسياً)، دفن موتاهم في الأرض، وغالباً ما يرفضون الزواج، وبدلاً عن ذلك يجعلون من البتولية مثالهم الأعلى.[3] وكثيرٌ من هذه العادات المسيحية كانت مكروهة عند الزرادشتيين، لكن لا بد أنَّ معظمها وجد حظوة في أعين اليهود. بعبارة أخرى، وفيما يتعلق بكثير من الحساسيات الدينية الزرادشتية، لَمْ يكن ثمة كثير من الفرق بين المسيحيين واليهود (وكان كتيرKatir على حق ومن ثم، حين يضع الإثنتين على حد سواء على قدم المساواة). استثناء واضح هو مسألة البتولية، كمثلٍ أعلى، التي تظهر في جميع قصص استشهاد النساء تقريباً.[4] ومن الواضح أن شيئاً من ذلك لم يوافق عليه اليهود، أيضاً، وهو ما يذكرنا على الفور بهجوم البابلي على قصة الولادة في العهد الجديد (ولادة يسوع من عذراء). ونحن لا نعرف ما إذا كان اليهود يقفون وراء النقد الزرادشتي للزعم المسيحي، بأنَّ الله ولدَ من امرأةٍ بشرية (التي لم يكن سلوكها علاوة على ذلك فوق مستوى الشبهات).[5] لكن لا يمكن بالتأكيد استبعاد إمكانية ذلك.

---

[1] يرجع إلى العام ٣٣٩، أي قبل البداية الرسمية للاضطهاد. ((Braun, Ausgewählte Akten, p. xvii)).

[2] *AMS* II, p. 52; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 1 .

[3] أنظر الخلاصة المفيدة في استشهاد الأسقف أكيشما: *AMS* II, p. 361; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 116

[4] مثال جيد على هذا هو مارتا، ابنة بوساي (التي استشهد قبلها)، الذي يحثها القاضي بقوة، قائلاً: "أنت فتاة شابة، وجيلة جداً على ذلك. اذهبي وجدي لك زوجاً، تزوجي وأنجبي أطفالاً؛ ولا تتمسكي بعذرك الباطل المقزز حول العهد ["نذر البتولية"]" (*AMS* II, pp. 236f.; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 78f).

[5] شواهد عند أسموسن، "المسيحيون في إيران" ص ٩٣٩؛ أنظر أيضاً: Asmussen, “Das Christentum in Iran,” pp. 15f

المزيد من الشواهد نجدها في Ian Gillman and Hans-Joachim Klimkeit, *Christians in Asia before 1500*, Ann Arbor: University of Michigan Press, 1999, p. 115: "يعترف المسيحيون أيضاً بخطأ آخر. يقولون إن الله، الذي خلق السماء والأرض، ولد من عذراء اسمها مريم، والتي كان زوجا يدعى يوسف".

أهم من ذلك، هو أن مصير العديد من الشهداء المسيحيين، بدءاً بالاضطهادات الطويلة في ظل حكم شابور الثاني، لَمْ يغبْ عن نظر اليهود الساسانيين؛ في الواقع، كما رأينا، ربما أنهم لعبوا دوراً نشطاً في تعزيز الشبهات عند السلطات الساسانية فيما يتعلق بالمضامين السياسية المرتبطة بالطائفة المسيحية المنشقة. وقد أشارَ يس أسموسن إلى حقيقة، أنَّ سِجلَ الشهداء martyrologies المحفوظ في أعمال الشهداء السرياني يتبعُ أمثولة " *تقليد للمسيح*، واعيةً بهدفِ جعلِ تفاصيل وفاة الشهيد مطابقة قدر الإمكان لآلام يسوع،"[1] ومن بين مختلف الخصائص التي يوردها، إثنتان تفيدان في توضيح سياق حديثنا على نحو خاص: أنَّ الجمعة هو اليوم المفضل للاستشهاد، وأنَّ جثة الشهيد يتم أخذها بعيداً في الخفاء. وفيما يتعلق بالأولى، فالأعمالُ يذكرُ صراحةً، أنَّ سمعان وأصحابه حكم عليهم وَنُفِّذَ فيهم الحكم يوم الجمعة، بين الساعة السادسة والساعة التاسعة، وهو تحديداً الوقت الذي حُمِلَ فيه يسوع الصليب ليصلب أخيراً.[2] ومن المثير للاهتمام، أن غوهاشتازاد Guhashtazad، وهو مسؤول فارسي رفيع ومسيحي، والذي ينفي في البداية إيمانه المسيحي ولا يقبل بعواقب ذلك، إلا في المحاولة الثانية، أُعتبر أنهُ لا يستحقُّ أن يستشهد إلاّ يوم الخميس، الثالث عشر من نيسان؛[3] كذلك فإن بعضهم – وربما يكونون بأهمية أدنى – يموتون لاحقاً في أي يوم جمعة فحسب، وليس فقط في يوم جمعة إعدام يسوع.[4]

---

(1) Asmussen, Christians in Iran, p. 937

(2) *AMS* II, p. 191; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 45; *AMS* II, p. 206; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 56

(الأولى تشير إلى الحكم في الساعة السادسة من يوم الجمعة، أما الأخيرة فتشير إلى تنفيذ حكم الإعدام في الساعة التاسعة).

(3) *AMS* II, p. 177; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 36.

(4) *AMS* II, p. 557; Braun, *Ausgewählte Akten*, pp. 162 (يوم جمعة تشرين الثاني)، ١٨٤ (يوم جمعة في آب)، ٢١٩.

أما فيما يتعلق بأخذ جثة الشهيد بشكل سري، فنحن نتذكر قصة العهد الجديد (فقط في إنجيل متى) من أن كبار الكهنة والفريسيين، طلبوا من بيلاطس حراسة قَبْر يسوعٍ بعنايةٍ لمدة ثلاثة أيام، خوفاً من أنْ يَسْرِقَ اليهودُ سراً جثته ويدعون أنه قام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام، كما كان الوعد.(١) وفي تقليد واضح لمصير يسوع، يذكر الأعمال في كثير من الأحيان أنَّ أخوةَ الشهيد من المسيحيين يسلبون أو " يسرقون " سراً الجثمان ومن ثم يدفنونه. وعلى سبيل المثال، فبعد استشهاد الأسقف شابور، جاءَ إخوته المسيحيون، "فسرقوا جثمانه، ودفنوه سراً."(٢) وفي حالة أكيشما Akebshema قام جلادوه بحراسة جثمانه، الذي لَمْ يدفن، لكن بعد ثلاثة أيام (!)، أخذه رهينة أرمني (ومن ثم مسيحي) سراً.(٣) شهيد آخر، اسمه يوسف، أخذ بعيداً، وكما يقول النص صراحة، "مخفياً – لا نعرف إنْ من قِبل اللهِ أو من قِبل إنسان، لأن [جثته] لَمْ تُرَ ولا يُعرف مكانها".(٤) وبالمثل، فإن جثة الراهب مار كيواركيس تُعرضُ لثلاثة أيام وثلاث ليال على الصليب، يحرسها كثير من الجنود، "لئلا يأتي المسيحيون سراً ويسرقون الجسد الطاهر والمقدس ".(٥) هذا ليس مجرد *تقليد للمسيح*، بل هو أكثر من ذلك، إنه عكس لقصة متى: ما يضعه متى في فم اليهود – الخوف من أن يسرق تلاميذُ يسوع أو أي شخص آخر جسده ليزعموا أنه قام من بين الأموات – يعتمد الآن من قبل المسيحيين ويأخذ طابعاً إيجابياً. نعم، تقول سير الشهداء، إنَّ جثامين الشهداء تُؤخذُ سراً، من قبلنا نحن المسيحيون، لا لتزوير قيامة، بَلْ لتسهيلها (حالة يوسف واضحة بشكل خاص حيث نجد في النص تلميحاتٍ صريحةٍ إلى إمكانية

---

(١) متى ٢٧: ٦٢ – ٦٧. نجد عند يوحنا تفصيلاً هاماً يقول إن مريم تعتقد أن صاحب البستان ربما يكون أخذ سراً جسد يسوع (يوحنا ٢٠:١٥).

(2) *AMS* II, p. 56; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 4

(3) *AMS* II, p. 374; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 125

(4) *AMS* II, pp. 390f.; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 136. أريد شكر آدم بكر على مساعدتي في توضيح هذا المقطع.

(5) Paul Bedjan, *Histoire de Mar-Jabalaha, de trois autres patriarches, d'un prêtre et de deux laiques nestoriens*, Leipzig: Otto Harrassowitz, 1895, pp. 551f.; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 271

قيامته الفورية من بين الأموات). لذلك، وبحس تهكمي، يثبت اليهود في النهاية أنهم كانوا على حق، على الرغم من أن المسيحيين الأوائل، يؤكدون أنهم لَمْ يسرقوا جثمان يسوع لأنه (كما يزعمون)، قامَ من بين الأموات، فإن إخوانهم الساسانيين لديهم عادة سرقة جثامين الشهداء – لتقديم الزعم ذاته على وجه الدقة، أنهم قاموا من بين الأموات.

ولأن هذه الأنماط ومثيلاتها تظهر في العديد من سير الشهداء،[1] يصعب تجنب الاستنتاج، بأنَّ اليهود الساسانيين لا بد أنهم كانوا على علم بها. ومن المؤكد أن أنماطاً كهذه – بدرجات متفاوتة – هي وسائط أدبية تنتمي إلى هذا النوع من سير القديسين المعينة هذه وليست بالضرورة حقائق تاريخية. ومن الواضح، أن ليس كل الشهداء ماتوا يوم الجمعة، لكن نمط *تقليد المسيح* بارز إلى درجة أنه لا يمكننا ببساطة تجاهله كضربٍ من الخيال (ناهيك عن أن لا شيء يتحدث ضد احتمالية أن يكون بعض اليهود الساسانيين كان قد قرأ بالفعل أعمال الشهداء، والذي هو في نهاية الأمر مكتوب باللغة السريانية، وهي لهجة آرامية شرقية قريبة جدا من اللغة الآرامية البابلية). وإذا كان المسيحيون متحمسين جداً لأخذ (وإخفاء) جثامين الشهداء من أجل الإشارة إلى قيامتهم من بين الأموات فهذا عنصر من عناصر سير الشهداء له في الواقع الكثير من المعاني.

وخلاصة القول، إنَّ الوضعَ غيرَ المستقِرِ على نحو متزايد للمسيحيين في الإمبراطورية الساسانية، مع موجات الاضطهاد التي اندلعت في ظل حكم شابور الثاني وتواصلت في ظل حكم بعض خلفائه، يجعل من المحتمل جداً أن المناخ الثقافي أمكن له أن يتطوّر، بحيث شعر اليهودُ فيه ليس فقط أنهم أحرار، بَلْ أنَّهم مُشجعون

---

[1] انظر أيضاً: *AMS* II, p. 206; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 56; *AMS* II, p. 557; Braun, *Ausgewählte Akten*, p. 162; and *AMS* IV, p. 198; Braun, *Ausgewählte Akten*, pp. 176f

على التعبير عن مشاعرهم المعادية للمسيحية – وأنه كان بإمكانهم أن يتوقعوا دعم الحكومة الفارسية لهم في هذا المسعى.[1] من هنا، يجب أن لا نتفاجأ إذا ما وجدنا، أنَّ الجدليات الأكثر وضوحاً ضد يسوع هي في التلمود البابلي (وليس في المصادر الفلسطينية).[2] وهناك، في البابلي، فالصراع الذي يبرز لم يعد صراعاً بين يهودٍ ومسيحيين يَهودْ أو يَهودٍ مَسيحيين (أي المسيحية في طور التصنيع)، بَلْ بين يهود ومسيحيين في صيرورة تعريفهم لأنفسهم بالذات (أي، الكنيسة المسيحية). الجدل الذي يشركنا به البابلي هزيل وتم للأسف العبث به من قبل الرقابة المسيحية، لكنه يسمح لنا مع ذلك بإلقاء نظرة عابرة على صراع شرس وحيوي للغاية بين " ديانتين متنافستين تحت العين المرتابة للسلطات الساسانية.

---

[1] هذا لا يعني القول إن العلاقة بين اليهود والمسيحيين في الإمبراطورية الفارسية كانت عدائية حصراً؛ بالعكس. هنالك الفضاء الثقافي المشترك، وبشكل خاص ما يتعلق " بالثقافة السكولاستية"؛ أنظر: Adam H. Becker, "Bringing the Heavenly Academy Down to Earth: Approaches to the Imagery of Divine Pedagogy in the East Syrian Tradition," in *Heavenly Realms and Earthly Realities in Late Antique Religions*, ed Ra,anan n S. Boustan and Annette Yoshiko Reed, Cambridge: Cambridge University Press, 2004, pp. 185ff., and in more detail Becker's Princeton dissertation, "*The Cause of the Foundations of the Schools*": *The Development of Scholastic Culture in Late Antique Mesopotamia* (published now as *The Fear of God and the Beginning of Wisdom: The School of Nisibis and Christian Scholastic Culture in Late Antique Mesopotamia*, Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2006); Jeffrey L. Rubenstein, *The Culture of the Babylonian Talmud*, Baltimore and London: Johns Hopkins University Press, 2003, .pp. 35–38.

زاوية واعدة بلا شك لاكتشاف نقاط تماس بين اليهود والمسيحيين هي الآباء السريان (أفرام وأفراهاط). ومع أنها ليست قضيتي في مراجعة كل المصادر الكامنة للمعرفة اليهودية البابلية بالتقاليد المسيحية بل (وبشكل محدد جداً) أن أكتشف لماذا وجد اليهود أنه من السهل والملائم التحدث ضد المسيحيين. وتستنتج نعومي كولتون-فروم من براهين أفراهاط والمصادر الحاخامية أن اليهود الحاخاميين كانوا منهمكين فعلياً في جدل عنيف ضد المسيحيين " مع أن اليهود لم يتركوا لنا مقالة adversus Christianos [ضد المسيحيين] تشبه مقالة أفراهاط adversus Judaeos، فإن أصداء تذمراتهم ضد المسيحية وتكتيكاتها في الهداية يمكن سماعها في هذه المقاطع [الحاخامية]". ("A JewishChristian Conversation," p. 63). أريد أن أضيف أن أكثر هذه الأصداء تصويراً لمشاعر الحقد المعادي للمسيحية هي المقاطع حول يسوع في التلمود وأن هذه المقاطع هي الأقرب إلى مقالة يهودية ضد المسيحيين adversus Christianos .

[2] هذه الملاحظة (على أساس أكثر عمومية، أي، بالنظر إلى النقد العنيف ضد المسيحية بحد ذاته) كانت تقدّم على الدوام من قبل يوفال، *Two Nations in Your Womb*, pp. 39f., 66 .

العهد الجديد

من النتائج الأخرى البارزة في تحقيقنا، هي أنَّ المصادرَ الحاخامية (نعيد من جديد، لاسيما البابلي) لا تشير إلى أفكار مبهمة عن يسوع والمسيحية، بَلْ تكشف عن معرفة - لكنها في كثير من الأحيان ليست معرفة دقيقة - بالعهد الجديد. وبعبارة أخرى، إنها تستجيب لمصدر أدبي، وليس لبعض التقاليد الشفوية الغامضة أو التي فُقدتْ. لا يمكننا إعادة بناء ما الذي بدا في العهد الجديد، وكأنَّ الحاخامات وجدوه أمامهم وكذلك لسنا متأكدين، بطبيعة الحال، ما إذا كانوا قَدْ اطّلعوا على العهد الجديد بأية حال. مع ذلك، فالإشارات النوعية تماماً المقدمة في مصادرنا، تجعلُ من المعقول للغاية، أنَّ بعضَ نُسخٍ من العهد الجديد، كانتْ تحتَ أيديهم.

أي نوع من العهد الجديد قد يكون هذا؟ ونحن نعلم أن "انسجام" الأناجيل الأربعة (الدياتيسارون) الذي ألفه تاتيانوس في القرن الثاني الميلادي، أصْبحَ النصَ المعتمدَ من العهد الجديد للكنيسة السريانية، حتى تَمَّ استبداله (في القرن الخامس) بترجمة سريانية للأناجيل الأربعة المنفصلة (النسخة البسيطة من العهد الجديد).[1] يُقدّمُ لنا الدياتيسارون رواية متواصلة لرسالة العهد الجديد، مؤلفة بشكل حصري تقريباً من الأناجيل الإزائية الثلاثة ومن إنجيل يوحنا؛ وعلى الأرجح كانت لُغَتَهُ الأصلية هي السريانية (وليس اليونانية). في عرضه لروايته المتواصلة، بدلاً من النسخ الأربع المختلفة، لَمْ يكن باستطاعة تاتيانوس ترك هيكل الأناجيل الأربعة دون مس،

[1] مع أن هذا لا يستبعد إحتمالية أن نسخاً منفصلة عن الأناجيل الأربعة كانت متداولة أيضاً (أنظر مقالة بربارة الاند المشار إليها لاحقاً). من أجل تاتيانوس و الدياتيسارون، أنظر: Bruce M. Metzger, *The Early Versions of the New Testament: Their Origin, Transmission, and Limitations*, Oxford: Clarendon, 1977, pp. 10ff. أنظر أيضاً المقالات الهامة في *Theologische Realenzyklopädie:* Dietrich Wünsch, "Evangelienharmonie," in TRE 10, 1982, pp. 626–629; Barbara Aland, "Bibelübersetzungen I:4.2: Neues Testament," in *TRE* 185 6, 1980, pp. 189–196; William L. Petersen, "Tatian," in *TRE* 32, 2001, pp. 655–659

لكنه يبدأ، بشكل واضح، ليس فقط مع مقدمة يوحنا، بَلْ يتبعُ عادة الترتيب الموجود في إنجيل يوحنا أيضاً ويدرج فيه مقاطع من الأناجيل الإزائية.[١] ولسوء الحظ، لَمْ يبق هناك أي نص مفرد كامل من الدياتيسارون، لكن يمكن إلى حد كبير إعادة بنائه من خلال اقتباسات من الأب أفرام من الكنيسة السريانية (خاصة في تعليقاته بالسريانية على الدياتيسارون) إضافة إلى عدد من الترجمات إلى عدة لغات.[٢] وعلى أية حال، فمن المحتمل جدا، أنَّ اليهود الساسانيين عَرفوا العهد الجديد من خلال الدياتيسارون السريانية وفي وقت لاحق من خلال البيشيتا [النسخة البسيطة السريانية].

إذا استعرضنا الإشارات إلى العهد الجديد بالتفصيل، يصبح واضحاً على الفور، أنَّ الحاخامات لا بدّ أنهم كانوا على دراية في المقام الأول بكل الأناجيل الأربعة. وهنا تبرز الصورة التالية:[٣]

● عائلة يسوع: خَلف المحاكاة الساخرة لقصة ولادة يسوع، نجد مَتّىَ على وجه الخصوص، مع النسب الذي ينتهي بداوود والزعم بأنه ولد من عذراء. أمهُ

---

[١] أنظر: Ernst Bammel, "*Ex illa itaque die consiliumfecerunt...*," in idem, *The Trial of Jesus*, p. 17

حول استراتيجية تاتيانوس المتناغمة عموماً، أنظر: Helmut Merkel, *Die Widersprüche zwischen den Evangelien. Ihre polemische und apologetische Behandlung in der Alten Kirche bis zu Augustin*, Tübingen: J.C.B. Mohr (Paul Siebeck)، 1971, pp. 71–91; William L. Petersen, *Tatian's Diatessaron: Its Creation, Dissemination, Significance, and History in Scholarship*, Leiden and New York: Brill, 1994

[٢] أنظر القائمة في Wünsch, "Evangelienharmonie," p. 628. يمكن أن نجد ترجمة للنسخة العربية قام بها Hope W. Hogg وذلك في العمل التالي: *The Ante-Nicene Fathers: Translations of the Fathers down to A.D. 325*, 5th ed., vol. 10, ed. Allan Menzies; reprint, Edinburgh: T&T Clark; Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1990, pp. 43–129

[٣] المراجع الواردة هنا إنما تشير فقط إلى التلميحات للعهد الجديد مباشرة فيما يخص يسوع؛ ويستمر الأمر دون القول إنها لم تستهلك التلميحات للعهد الجديد في الأدب الحاخامي بشكل عام وفي البابلي بشكل خاص. لكن من الملفت أنها تبدو أيضاً أكثر بروزاً في البابلي (أوضح الأمثلة على ذلك الإشارة إلى متى ٥: ١٤ – ١٧ في قصة إما شالوم، رابان غمليئل، والفيلسوف الوثني في شبات البابلية؛ أنظر في هذه المسألة: Visotzky, *Fathers of the World*, pp. 81–83).

مريم، المرأة طويلة الشعر، ربما أنها تشير إلى تماثل متأخر بين مريم المجدلية و"المرأة غير الأخلاقية" عند لوقا.

- يسوع الابن/التلميذ السيء: ربما هو أيضاً إشارة إلى مريم المجدلية/المرأة غير أخلاقية (لوقا، ولكن أيضاً يوحنا)

- يسوع التلميذ التافه: ليس له مقابل

- يسوع معلم التوراة: العظة على الجبل (متى)؛ تعليم يسوع في الهيكل (لوقا، ولكن أيضا يوحنا)

- الشفاء باسم يسوع: يخرج الشياطين باسم يسوع (مرقس ولوقا)

إعدام يسوع: كلّ الأناجيل الأربعة، لكن يوحنا وحده يذكر أن محاكمة يسوع وإعدامه جرياً في الرابع عشر من شهر نيسان، أي في اليوم الذي سبق اليوم الأول من عيد الفصح.

يحاول بيلاطس إنقاذ يسوع: في كل الأناجيل الأربعة، مع التركيز بوجه خاص على يوحنا.

يسوع على الصليب: كل الأناجيل الأربعة.

- تلاميذ يسوع: كل الأناجيل الأربعة، مع تركيز خاص على يوحنا (سحق العظام)، متى (المسيح الداوودي)، وربما أيضاً أعمال الرسل والرسالة إلى العبرانيين (إشارة إلى سفر المزامير ٢: ٧)، وبولس (بكر الله، ذبيحة العهد الجديد)

- عقاب يسوع: أكل جسد يسوع وشرب دمه (يوحنا).

هذه صورة ملونة تماماً، لكن مع ذلك، تبرز للعيان معرفة مصادرنا (البابلية) بإنجيل يوحنا.[١] فلماذا هذا التقارب المدهش في بعض الأحيان مع إنجيل يوحنا على وجه الخصوص؟

لماذا يوحنا؟

للإجابة عن هذا السؤال، نحتاجُ لإلقاء نظرة فاحصة على إنجيل يوحنا. كما هي الحال مع جميع كتابات العهد الجديد، هنالك نزاع ساخن بشأن الأسئلة البدئية المتعلقة ومن ثمف، الزمان، المكان، والظروف. لكن تفاصيل هذا الجدل لا تؤثر بنقاشنا الحالي، مع ذلك فأنا على استعداد من أجل وضع الأمور في نصابها الصحيح، لأنْ أكْشِفَ عن تعاطفي مع أولئك الذين يَرون في يوحنا، الذي ادَّعى أنهُ تلميذ ليسوع، قائداً للمدرسة التي ازدهرت بين عامي ٧٠ و١٠٠/١١٠م في آسيا الصغرى والتي كانت مسؤولة عن تحرير إنجيل يوحنا بعد عام ١٠٠ على الفور.[٢] ومما لا شك فيه، أن إنجيل يوحنا هو آخر ما أخذ شكله من بين الأناجيل الأربعة. والأكثر أهمية بالنسبة لتحقيقنا الحالي: لقد تمتع بانتشار واسع، إنه الأكثر وضوحاً ومن ثم، فهو الأكثر "مسيحية"، وأخيراً وليس آخراً، إنه الإنجيل الأقوى في عدائيته لليهود من بين الأناجيل الأربعة.

---

[١] مع ذلك، يذكّرني مارتن هنغل بأنه يجب أن لا ننسى احتمالية وجود إنجيل مسيحي-يهودي باللغة العبرية أو بالآرامية، "قريب من متى اليوناني المتأخر": أنظر عمله: *The Four Gospels and the One Gospel of Jesus Christ: An Investigation of the Collection and Origin of the Canonical Gospels*, London: SCM, 2000, pp. 73–76

[٢] أنظر النقاش الواسع في Martin Hengel, *Die Johanneische Frage. Ein Lösungsversuch*, Tübingen: J.C.B. Mohr (Paul Siebeck), 1993, pp. 219ff.; Charles E. Hill, *The Johannine Corpus in the Early Church*, Oxford: Oxford University Press, 2004. لقد دافع كلاوس برغر عن تاريخ متطرّف في قدمه (٦٨\٦٩)، لكنه لم يكن مقنعاً: Klaus Berger, *Im Anfang war Johannes. Datierung und Theologie des vierten Evangeliums*, Stuttgart: Quell, 1997

من بدايته بالذات، يوضح إنجيل يوحنا عينياً عمن كان يتحدّث: الكلمةُ الذي " صار جسدا و حل بيننا " ، وأنه لا أحد غير " كما لوحيد من الآب " (١٤:١).من هنا، عندما يرى يوحنا المعمدان يسوع، يقول على الفور: "هو ذا حمل الله "(١: ٢٩، ٣٦)، الذي هو" ابن الله "(٣٤:١). لقد قيل عَلناً إن يسوع هذا، الذي تحدد هويته لاحقاً بأنه المسيح (٤١:١)، "يسوع ابن يوسف، الذي من الناصرة" (٤٥:١) هذا، هو في الواقع "ابن الله" (٤٩:١) - وكذلك "ملك إسرائيل" (المرجع نفسه) و"ابن الإنسان" (٥١:١) - وهو ما يصبح مقولة تهيمن على الإنجيل كله. وفقاً لذلك، لا ينتظر مؤلف إنجيلنا حتى النهاية المريرة لروايته بل يكشف من وقت مبكر جداً، أنَّ بطله قامَ من بين الأموات (٢٢:٢) وانه سوف يصعد إلى السماء:

(١٣)' و ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان، الذي هو في السماء. (١٤) و كما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان. (١٥) لكي لا يهلك كلّ من يؤمن به، بَلْ تكون له الحياة الأبدية. (١٦)، لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بَلْ تكون له الحياة الأبدية.[١]

إنّها هذه الحياة الأبدية، التي أنعم الله الآب بها عليه، التي يعد بها يسوع باستمرار أولئك الذين يتبعونه. عندما يشفي الرجل المشلول، يشير صراحة إلى "الآب" قائلاً:

(٢١) لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء. (٢٢) لأن الآب لا يدين أحداً، بل قَدْ أعطى كل الدينونة للابن.(٢٣) لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذي أرسله.(

---

[١] أنظر أيضاً: ٣: ٣٥ وما بعد.

٢٤) الحقَّ الحقَّ أقول لكم، إنَّ من يسمع كلامي و يؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية و لا يأتي إلى دينونة، بَلْ قَدْ انتقل من الموت إلى الحياة.

ثم يقول مدعياً، إنَّ هذا هو ما قاله في الواقع موسى لليهود الذين يرفضون القبول بعناد (٥:٤٦).[1]

تهدف السلسلة الطويلة من المعجزات التي يقوم بها يسوع إلى أن تثبت دائماً إدعائهُ بأنهُ يتصرّف كابن لله الذي يقدّم الحياة الأبدية. ومعجزة إطعام خمسة آلاف [شخص] خبزاً تصل إلى قمتها في الإعلان أن يسوع هو خبز الحياة:

(٥١) أنا هو الخبز الحي، الذي نزلَ من السماء، إن أكلَ أحدُ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد و الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من اجل حياة العالم.(٥٢) فخاصم اليهود بعضهم بعضا قائلين، كيفَ يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل.(٥٣) فقال لهم يسوع الحقُّ الحق أقول لكم، إنْ لَمْ تأكلوا جسد ابن الإنسان و تشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. (٥٤) من يأكل جسدي و يشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير. (٦: ٥١ - ٥٤).

بعد أن شفاه يسوع (مرة أخرى يوم السبت)، يؤمن الأعمى أنه ابن الإنسان، وكما يقول يوحنا، " سجد له " (٩:٣٨). وبالمثل، عندما يقيم إليعازر الميت من "نومه"، يعلن يسوع: " أنا هو القيامة و الحياة من آمن بي و لو مات فسيحيا. و كلُّ من كان حيا و امن بي فلن يموت إلى الأبد أتؤمنين بهذا؟" (١١: ٢٥ وما بعد). — وعندها تجيب مارثا من صميم قلبها :" نعم يا سيدا أنا قد آمنت، أنك أنت المسيح، ابن الله الآتي إلى العالم "!(١١:٢٧).

---

[1] أنظر أيضاً: ٦:٢٧.

تصور ساعة اقتراب آلامه وموته، ليسَ فقط باعتبارها إنجازاً لمهمته على الأرض، بَلْ أيضاً باعتبارها عودة إلى أبيه (١٢:٢٣، ٢٧ وما بعد؛ ١:١٣، ٣١ وما بعد)، وهذه أيضا فكرة مهيمنة (. CHS 14-16) في خطابه الوداعي لتلاميذه: "خرجت من عند الأب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الأب "(١٦:٢٨). وفقاً لذلك، فهو يفتتح صلاته للأب قبل أن يدخل آلامه بالكلمات التالية:

"(١) أيها الأب، قَدْ أتت الساعة، مَجِّد ابنك، ليمجدك ابنك أيضاً. (٢) إذا أعطيته سلطانا على كلِّ جسدٍ، ليعطي حياة أبدية لكلِّ مَنْ أعطيته.(٣) و هذه هي الحياة الأبدية، أنْ يعرفوك أنتَ الإله الحقيقي وَحْدَكْ ويسوع المسيح الذي أرسلته "(١٧: ١-٣).

وجهة النظر المضادة لهذا الإصرار الثابت والمثير، بأنَّ يسوع هو ابن الله، هي المعارضة التي لا تقل ثباتاً ولا إثارة من قِبل "اليهود" (كما يسمون غالباً على نحو موحد)، أي تفاقم متزايد لكراهيتهم يسوع. في البداية كانوا فضوليين، لكن بقدر ما كانوا يسمعون له ولمزاعمه ويفهمون ذلك – والأكثر هو جذبه لأعداد متزايدة من إخوانهم اليهود – بقدر ما كان يفرغ صبرهم ويبدون مهتاجين للنيل منه. إن إشفاء المشلول مسيء في عيونهم ليس فقط لأنه وَقَع يومَ السبت، لكن أيضاً وأساساً لأنه النتيجة المباشرة لزعمه بأنه ابنُ الله: "فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أنْ يقتلوه، لأنه لَمْ ينقض السبت فقط، بَلْ قالَ أيضاً إنَّ الله أبوهُ معادلا نفسه بالله " (١٨:٥). يؤثِّر إطعام خمسة آلاف من "الشعب" (مهما كان هذا الشعب، فهو كما بدا واضحاً عدد كبير من اليهود) – الذي يقرّ به نبيّاً فيرغبون بتتويجه ملكاً عليهم (١٤:٦ وما بعد) [فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا: إنَّ هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم. وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أنْ يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا

انصرف أيضاً إلى الجبل وحده] – لكنهم يبقون على تشككهم، ويسألون: " أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه فكيف يقول هذا إني نزلت من السماء ؟" (٦:٤٢). ثم يلي ذلك حوارٌ ساخن بخصوص جسد يسوع ودمه، والذي كان من الصعب ابتلاعه ليس فقط من قبل "اليهود" (٦:٥٢) [فخاصم اليهود بعضهم بعضاً؛ قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟]، بَلْ حتى من قبل تلاميذ له (٦:٦٠) [فقال كثيرون من تلاميذه، إذ سمعوا أن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه]. وبالمثل، عندما يعلم في الهيكل ويؤثّر في الحشد الذي يستمع إليه، نجد أن الفريسيين ورؤساء الكهنة ("السلطات")، هُمْ الذين يصبحون كبار أعدائه والذين يسعون بنشاط لاعتقاله وقتله (٧: ٣٢وما بعد). [سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خدّاماً ليمسكوه].

يتم تصوير بعض المواجهات كنقاشات مباشرة بين يسوع و"اليهود" أو الفريسيين. فعندما يمنع يسوع رجم المرأة الزانية، يقول الفريسيون، إنّها وحدها شهادته التي تخلي سبيل المرأة (بدلا من المطالبة الهالاخية بوجود شاهدين). وجوابه – " وأيضاً في ناموسكم مكتوب أن شهادة رجلين حق. أنا هو الشاهد لنفسي و يشهد لي الأب الذي أرسلني" (٨:١٧ وما بعد) – ربما كان صداه في آذان اليهود كتهكم بهذا الشرع. والنقاش يكتسب مرارة لا مثيل لها تقريباً مع توصل الشجار إلى زعم اليهود، بأنهم من نسل إبراهيم. يقول يسوع بحسم: " أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم، لكنكم تطلبون أنْ تقتلوني، لأن كلامي لا موضع له فيكم. أنا أتكلّم بما رأيت عند أبي وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم " (٨:٣٧ وما بعد). إبراهيم، وهذه هي حجته الجريئة، لا يسعى إلى قتل أحد؛ ومن ثم، ففي محاولتهم لقتله، لا يمكن أن يكونوا أبناء إبراهيم، لكن يجب أن يكونوا من نسل أب مختلف. من يكون هذا؟ ويبدو أن خصومه اليهود، كانَ لديهم هاجس بما سيقوله لاحقاً، لأنه عندما يتهمهم: "أنتم تعملون أعمال

أبيكم "، يجيبون: "إننا لَمْ نولد من زنا، لنا أبٌ واحدٌ و هو الله! "(٨:٤١). لكنَّ يسوعَ لا يستسلم، ليكشف أخيراً عن الذي يفكّر به:

(٤٣) لماذا لا تفهمون كلامي، لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. (٤٤) أنتم من أبٍ هو إبليس، و شهوات أبيكم، تريدون أنْ تعملوا ذاك، كان قتالا للناس من البدء، و لم يثبت في الحق، لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب، فإنما يتكلم مما له، لأنه كذّاب و أبو الكذّاب (٨:٤٣ وما بعد).

يسوع، ابن الله، مع أتباعه، أبناء الله، مقابل اليهود، الذين هم ليسوا أبناء إبراهيم، بَلْ أبناء الشيطان – هذه هي رسالة إنجيل يوحنا (الذي يتناغم، والأمر ليس مستغرباً، مع سفر الرؤيا – الذي نسب ليوحنا أيضاً – حيث يفضح أولئك الذين يدعون أنهم يهود بأنهم "كنيس الشيطان").[1][" وتجديف القائلين، إنَّهم يهودٌ وليسوا يهودا ، بَلْ هم مجمع الشيطان " (سفر الرؤيا ٢:٩)] بناء على ذلك، لَمْ يحاول اليهودُ فقط توقيف يسوع، الذي ضلَّلَ شعبهم، وقتله؛ بل بدأوا علاوة على ذلك عمليةً للقضاءِ على وجود أتباعه في الكنيس.[2]

كانت قيامة إليعازر الميت، سَتُصبحُ القشّة الأخيرة في المواجهة بين يسوع و"اليهود" بحسب يوحنا. وحين يسمعون لهذا الاستفزاز الجديد، يجتمع الفريسيون ورؤساء الكهنة لمناقشة الوضع الذي كانَ يُهدد بالخروج عن نطاق السيطرة. في حين أنَّ الأغلبية تخشى أنه " إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا [الهيكل] وأمتنا". فيوبخهم قيافا، كبيرُ الكهنة المهيب، بالقول: " لَستُمْ تعرفون شيئا. و لا تفكرون أنهُ خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب و لا تهلك

---

[1] سفر الرؤيا ٢:٩؛ ٣:٩.

[2] إنجيل يوحنا ٩:٢٢، ٣٤؛ ١٢:٤٣؛ ١٦:٢.

الأمة كلها " (١١ : ٤٨ – ٥٠). وكان هذا هو حكم الإعدام، فمصير يسوع يجب أنْ يأخذ مجراه: "من ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه " (١١:٥٣). يسوع يجب وسوف يموت، لأنه مُجدِّف و "لأنه جعل نفسه ابن الله "(١٩ : ٧).

لا يوجد أيُّ نص آخر في العهد الجديد أكثر وضوحاً وثباتاً حول رسالة يسوع على الأرض وأصله الإلهي، بَلْ تماثلهُ واقعياً مع الله،[1] ولا يوجد نص آخر في العهد الجديد أكثرُ صرامةً في موقفه تجاه اليهود من إنجيل يوحنا. ولأنه كتب في الشتات اليهودي في آسيا الصغرى، فإنه يَحملُ كلَّ سمات الصراع المرير بين الجماعة اليهودية الراسخة والجماعة المسيحية الناشئة، صراع شُنّ أيضاً من قبل الجانبين دون قفازات. المسيحيون لا يوقرون اليهودَ بإهاناتهم السيئة (اليهودُ لديهم أبُ هو الشيطان)، فيرد الآخرون بها تحت أيديهم من إجابات وأقساها: أنهم يضطهدون " من كان سيصبح الله " ويجبرون الحاكم الروماني على إعدامه ضد الأدلة وضد إرادة الحاكم نفسه. لدينا كل الأسباب التي تدعونا للاعتقاد بأن إنجيل يوحنا كان منتشراً ومعروفاً في بابل، إن لم يكن منفصلاً بحد ذاته[بمعنى ليس مع الأناجيل الأخرى – مترجم]، فإذن في نسخة دياتيسارون تاتيانوس والتي كانت تميل إلى يوحنا.[2] ومع انحيازها القوي ضد اليهود، فهيَ تُقدِّمُ لنا الرواية المسيحية الأكمل التي كان باستطاعة الجالية اليهودية في الشتات أن تجادل ضدها – جماعة شتات جديدة وواثقة من ذاتها، بعيدة في الزمان والمكان عن كلِّ من متاعب المسيحية الناشئة في آسيا الصغرى في أواخر القرن الأول وأوائل الثاني وعن السلطة المسيحية المتقوية باستمرار في فلسطين في القرنين الرابع والخامس. اليهود البابليون في الإمبراطورية الساسانية، الذين يعيشون في بيئة غير

---

[1] يوحنا ١٠:٣٠ : " الآب وأنا واحد ". وهذا، بلا شك، كان مصدر النزاع مع اليهود. وحده يوحنا يذكر محاولة اليهود لرجم يسوع (٨:٥٩).

[2] يمضي الأمر دون القول إن الدياتيسارون، بقدر ما يمكن إعادة بناها من الشواهد والترجمات، تحتوي كل العناصر الرئيسة التي تميّز إنجيل يوحنا. حول مسألة العلاقة المحتملة بين *تولدوت يشو* وإنجيل يوحنا، أنظر: Bammel, *The Trial of Jesus*, pp. 36f. (مع الأدب ذي الصلة).

مسيحية، بَلْ معادية للمسيحية على نحو تدريجي، كان بإمكانهم، أن يتولوا بسهولة مهمة الخطاب الذي كان يقوم به إخوانهم في آسيا الصغرى ومن ثم مواصلته؛ ويبدو كما لو أنهم كانوا غير مترددين في ردهم على رسالة العهد الجديد، وعلى وجه الخصوص التحيز ضد اليهود الذي هو بارز جداً في إنجيل يوحنا. لقد قاتلوا بوسائل المحاكاة الساخرة، عكس الروايات، التشويهُ المتعمد، وليس آخراً بإعلانهم الفخور، أنَّ ما فعله إخوانهم اليهود بيسوع كان صحيحاً: إنه يستحق أنْ يُعدمَ بسبب تجديفه، وأنه سيجلس في الجحيم إلى الأبد، وأن أولئك الذين اقتدوا به إلى اليوم لَنْ ينالوا الحياة الأبدية، كما وَعَدَهُم، بَلْ سيشاركونه بمصيره الرهيب. وإذا ما جمعنا النصوص من التلمود البابلي كلّها مع بعضها، رغم تجزؤها وتبعثرها، يمكن أنْ تُصبح الإنجيل الجريء والقوي المناقض للعهد الجديد بشكل عام، وليوحنا على وجه الخصوص.